

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

– المسيلة –

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ

محاضرات في مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

السنة الثالثة ليسانس تاريخ

إعداد الدكتور : طارق بن زاوي

السنة الجامعية 1440 هـ / 2018 – 2019 م

المحور الأول : الموقع و السكان .

المحاضرة رقم 1 :

أولا : الموقع .

1 - أصل التسمية .

2 - الموقع .

المحاضرة رقم 2 :

ثانيا : السكان .

المحور الأول : الموقع و السكان .

أولا : الموقع .

1 - أصل التسمية : تعددت الآراء و الإفتراضات حول أصل تسمية القارة الإفريقية بهذا الاسم ، فاسم إفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها من قبل بل كان يقتصر في البداية على منطقة منها و هي الشمالية ، أما بقية أجزائها فكانت لها أسماءها مثل مصر و بلاد الزنج و الحبشة .
و نجد المصادر العربية تختلف حول أصل التسمية ، ففي معجم البلدان يذكر ياقوت الحموي أنّها نسبت إلى إفريقش بن أبرهة بن الرئاش ، و قيل إفريقش بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، و ذكر أنّه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب كثير الماء ، فأمر أن تبني مدينة هناك فبُنيت و سمّاها إفريقية و اشتق اسمها من اسمه ثمّ نقل الناس إليها ¹ ، و أضاف ياقوت الحموي أنّ إفريقية سُميت بفارق بن بيصر بن حام بن نوح ، و أنّ أخاه مصر لما حاز مصر لنفسه حاز فارق إفريقية و لما اختط المسلمون القيروان خربت إفريقية و بقي اسمها على الصقع جميعه ² ، و قال الحميري إنّ معنى إفريقية صاحبة السماء ، و قيل إنّها سُميت بإفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورا ، و قيل إنّ أهل إفريقية من ولد فارق بن مصر ³ .

و يرى حسن الوزان أنّ أصل تسمية إفريقيا من الفعل فرّق بمعنى فصل ، مضيفا أنّ هناك رأيا في أصل هذه التسمية ، يعتمد الأول على كون هذا الجزء من المعمور مفصولا عن أوروبا و جزء من آسيا بالبحر المتوسط ، و يذهب الرأي الثاني إلى أنّ هذا الاسم مشتق من إفريقش ملك اليمن الذي كان أول من سكن هذه البلاد ، فلمّا لم يستطع الرجوع إلى مملكته بعد أن غلبه الملوك الأشوريون و طردوه اجتاز النيل مسرعا ثمّ تابع سيره نحو الغرب و لم يقف حتى وصل ضواحي قرطاج ، لذلك نرى العرب لا يكادون يعتبرون إفريقيا سوى ضاحية من قرطاج ⁴ .

و عند غوتبيه أنّ اسم إفريقيا لا بدّ و أن يثير الإنتباه حيث أنّه كان في البداية يطلق على قرطاج و مناطق نفوذها قبل أن يشمل القارة بأسرها ، ففي زمن الحروب البونية كان المؤرخون

¹ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج1، ص 228 .

² نفسه، نفس الجزء و الصفحة .

³ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م، ص 47 .

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، ص

اللاتين يطلقون اسم أفري على المواطنين القرطاجيين ، و كان السكان الثائرون يسمون باسم قبائلهم منهم المور و البربر و ليس الأفارقة ، فالإفريقي هو المواطن القرطاجي ، و إفريقيا هو الاسم الرسمي للمقاطعة المحيطة بقرطاجة في عهد الرومان و هي مستقلة إداريا عن نوميديا و موريتانيا¹ ، و يتجاهل غوتبيه الحسن الوزان الذي نسب أصل التسمية إلى الفعل فَرَقَ قائلا إنّ العرب كانوا يطلقون على تونس التي نعرفها اليوم اسم إفريقيا و لهذا يربط المستشرقون كلمة إفريقيا بأصل سامي أصبح بالعربية " الفرق " ، ثمّ ينقل عن مؤرخ أوربي أنّ الكلمة الفينيقية التي تحولت باللاتينية لإفريقيا تعني القطيعة أو الجزء و هي المقاطعة التي تنفصل عن الوطن الأم ، أما آخر فيرى أنّ إفريقيا ليست لاتينية و إنّما أخذت من اللغة البونية² .

أما المؤرخ الإيطالي إتوري روسي فيقول إنّ اسم إفريقيا لا يستبعد أن يكون منحدرًا من الشعوب البربرية التي تعامل معها الرومان و اتصلوا بها ، و ربما كان أصله كلمة أوريجا (auriga) ، و قد حدّد الرومان بكلمة أفري (Afri) أو أفريكاني (Africani) جميع شعوب شمال إفريقيا ، و على وجه الدقة المنطقة التي تطابق حاليا تونس ، و في القرون الوسطى و حتى القرن 16 م كانت كلمة إفريقيا تعني بلدة المهديّة بتونس التي عُرفت حينذاك بكثرة ما تعرّضت له من هجمات و غزوات الجيوش المسيحية³ .

و الخلاصة أنّ اسم إفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها ، فقد كان إطلاقه قاصرا أولا على منطقة منها في الشمال هي المعروفة الآن بتونس ، أما بقية أجزائها فقد كان لها تسمياتها المختلفة ، ثمّ عُمم اسم إفريقيا على القارة كلها و به تعرف الآن .

أما لفظ السودان هكذا على إطلاقه فقد استخدمه المؤرخون و الجغرافيون المسلمون ، فقد أطلقوا الكلمة على كل البلد الواقعة جنوب مصر و جميع المناطق التي يسكنها السود ، حيث نسبوا المنطقة إلى سكانها⁴ ، فقولنا بلاد السودان معناه الصحيح بلاد السود ، و من ثمّ فإنّ كلمة السودان المأخوذة من هذا اللفظ تدلّ على جميع البقاع التي يقطنها السود من قارة إفريقيا⁵ .

¹ أ.ف. غوتبيه، ماضي شمال إفريقيا، ترجمة : هاشم الحسني، مؤسسة تاولت الثقافية، ليبيا، ص 66 .

² نفسه، ص 66 .

³ إتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الغربي حتى سنة 1911م، ترجمة و تقديم : خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1991م، ص 124 .

⁴ محمود شاكر، السودان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م، ص 9 .

⁵ موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الطبعة الأولى، 1998م، ج18، ص 5947 .

و يذكر ابن عبد الحكم أنّ عبّيد الله بن حبيب بن أبي عبّيدة الفهري غزا السوس و بلاد السودان فظفر بهم ظفرا لم يُر مثله و أصاب ما شاء من ذهب¹ ، و البكري ذكر بلاد السودان و كثير من مدنها المشهورة و اتصال بعضها ببعض و المسافات بينها و ما فيها من الغرائب و سير أهلها² ، و عدّ مدينة سجلماسة مدخلا لها³ ، و يقول ابن خلدون عند حديثه عن ملوك بلاد السودان المجاورين للمغرب أنّهم أصناف و شعوب و قبائل ، أشهرهم بالمشرق الزنج و الحبشة و النوبة⁴ .

كما تمّ استخدام مصطلح بلاد التكرور كمرادف لبلاد السودان و لاسيما من قبل المؤرخين المغاربة ، في حين جعلته المصنفات المشرقية خاصا بأحد طوائف السودان الساكنين في المنطقة الواقعة بين نهر النيجر و النيل المصري في المنطقة المعروفة بالسودان الأوسط⁵ .

و تسمى المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى في العصور المتأخرة باسم إفريقيا جنوب الصحراء و هي تسمية أُطلقت عليها من قبل المؤرخين الفرنسيين خاصة ، و تمّ التعامل معها و استخدامها تبعا لموقع المنطقة .

2 - الموقع : قبل تحديد موقع المنطقة المراد دراسة تاريخها و هي إفريقيا جنوب الصحراء ، يجب أولا تحديد موقع القارة الإفريقية ، و هي تقع في موقع وسط في الكرة الأرضية ، فيمر في وسطها خط الإستواء و في قسمها الشمالي مدار السرطان و في قسمها الجنوبي مدار الجدي ، و تبلغ مساحتها 30 مليون كم² ، و يبلغ طولها من رأس عنابة في الشمال إلى رأس الرجاء الصالح في الجنوب ثمانية آلاف كم ، يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط و يفصلها عن أوربا مضيق جبل طارق ، و تتصل بأسيا عبر شبه جزيرة سيناء و يفصلها عنها قناة السويس ، و يفصلها البحر الأحمر عن شبه

¹ ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا و الأندلس، حققه و قدّم له : أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م، ص 94 .

² أبو عبّيد البكري، المغرب في ذكر بلاد المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 182 .

³ نفسه، ص 149 .

⁴ عبد الرحمان بن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج5، ص 264 .

⁵ د/بشار أكرم جميل الملاح، تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، عمّان، الطبعة الأولى، 2014م، ص 14 .

الجزيرة العربية ، و تطل غربا على المحيط الأطلسي و شرقا على المحيط الهندي ، و تختلف عن غيرها من القارات بقلة جزرها ما خلا جزيرة مدغشقر و بعض الجزر الصغيرة¹.

و أمّا حدود بلاد السودان فقد حدّدها القدماء من الجغرافيين المسلمين و منهم ابن حوقل بقوله : " و أمّا جنوبي الأرض من بلاد السودان فإنّ بلدهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف ، ليس بينه و بين شيء من الممالك اتصال غير أنّ له حدّا ينتهي إلى البحر المحيط و حدّا له ينتهي إلى برّية بينه و بين أرض المغرب ، و حدّا له ينتهي إلى برّية بينه و بين أرض مصر على ظهر الواحات و حدّا له ينتهي إلى البرّية التي ذكرت أنّها لا تنبت و لا عمارة فيها لشدة الحرّ² ، و القلقشندي بدوره ذكر حدود السودان واصفا إياها بأنّها بلاد متسعة الأرجاء رحبة الجوانب ، حدّها من الغرب البحر المحيط الغربي ، و من الجنوب الخراب ممّا يلي خط الإستواء ، و من الشرق بحر القلزم ممّا يقابل بلاد اليمن ، و من الشمال البراري الممتدة فيما بين الديار المصرية و أرض برقة و بلاد البربر من جنوبي المغرب إلى البحر المحيط³.

و أما بلاد السودان أو إفريقيا جنوب الصحراء فيحدّها من الشرق البحر الأحمر و من الغرب المحيط الأطلسي و من الشمال الصحراء الكبرى و من الجنوب الغابات الإستوائية ، و بلاد السودان واسعة و كبيرة إلا أنّها قفرة في معظمها ، و ليس لها اتصال بشيء من الممالك و العمارات إلا من وجه المغرب لصعوبة المسالك ، و بقيت كذلك حتى القرن 5هـ/11م حيث اكتشفت عدّة مسالك للوصول إليها من الشرق و من الشمال ، و لقد تعرّف المؤرخون و الجغرافيون المسلمون على إفريقيا جنوب الصحراء من خلال وصول التجار و المهاجرين المسلمين العرب إلى مدنها و كذلك من خلال ظهور الدول و الممالك الإسلامية في المنطقة ، لذلك نجد أنّ من تعرّض لها من الكتاب لم يترك تحديدا واضحا و دقيقا للمنطقة ككل ، بل اقتصر كلامهم على المناطق التي زاروها أو سمعوا عنها فقط⁴.

¹ يوسف روكز، إفريقيا السوداء سياسة و حضارة ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص 13 .

² أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 25 .

³ أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ص 273 .

⁴ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص ص 14-15 .

و تقسم بلاد السودان من الناحية العملية إلى ثلاثة أقسام و هي :

- القسم الأول : السودان الغربي و يشمل حوض نهر السينغال و نهر غامبيا و المجرى الأعلى لنهر فولتا و الحوض الأوسط لنهر النيجر .

- القسم الثاني : السودان الأوسط و يشمل حوض بحيرة التشاد .

- السودان الشرقي : و يشمل الحوض الأعلى لنهر النيل¹ .

و من الجدير بالذكر أنّ هذا التقسيم لم يكن معتمدا من قبل المؤرخين المسلمين ، إذ تعاملوا مع المنطقة كوحدة متكاملة تحت اسم بلاد السودان ، إلا أنّ ذلك لم يمنع من أنّهم تحدّثوا عن كل جزء منها بعد تقسيمها إلى أقاليم و أرباع² .

و الخلاصة أنّ العرب هم أول من أطلق مصطلح بلاد السودان على الشعوب الساكنة جنوب الصحراء الكبرى ، و أنّ أصل التسمية مستمد من لون البشرة ، و عُرفت المنطقة في العصور المتأخرة باسم إفريقيا جنوب الصحراء و اقتصر اسم السودان على جزء من المنطقة و هو الجمهورية السودانية و عاصمتها الخرطوم ، و انفصل عن هذه الجمهورية جزء منها في جنوبها ذي أغلبية نصرانية بعد نزاع مسلح يعرف حاليا بجمهورية جنوب السودان و عاصمتها جوبا .

¹ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج18، ص 5947 .

² د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 16 .

ثانيا : السكان .

يغلب على سكان إفريقيا العنصر البشري ذي البشرة السوداء أو الداكنة ، لذلك تعرف بالقارة السمراء ، و السلالات الإفريقية متنوعة و تختلف باختلاف و تنوع مناطق إفريقيا و أهمها ما يلي :

1 - الأقزام : و يطلق عليهم أيضا الزوج الصغار و البيغمي (Pygmy) ، و هم من أقدم الشعوب التي استقرت في الغابات الإستوائية ، و هم مجموعة من القبائل المتجانسة في شكلها و صفاتها العامة و في أسلوب حياتها ، و هناك من الأدلة الكثير على قدم الأقزام في إفريقيا ، فقد ورد ذكرهم في نص يرجع إلى حكم أحد ملوك الأسرة الفرعونية الخامسة (2560 - 2420 ق.م) و الذي أحضر إليه قزم من نوع نادر¹.

و كلمة الأقزام مشتقة من الكلمة اليونانية (Pygmaioi) و معناها الرجل الذي لا يزيد طوله على ما بين كوع الشخص العادي و أصابع قدميه ، و تنحصر أوطان الأقزام الإفريقيون الحالية في مواضع متفرقة من نهر الكونغو و تمتد حتى حدود أوغندا ، و من جهة الشمال الشرقي حتى حوض بحر الغزال (نهر الغزال هو الرافد الرئيسي للنيل من الجهة الغربية) و غربا حتى حدود جمهوريات الكونغو و الكامرون و الغابون و أنغولا فيما بين خطي⁰⁴ شمالا و⁰⁵ جنوبا ، و ينقسم الأقزام إلى جماعات صغيرة مبعثرة يعيشون على الصيد و القطار و يجهلون الزراعة و تربية الماشية و عمل النسيج و الفخاريات².

2 - سلالة الكوازان (Khoisan) : تعيش حاليا في الطرف الجنوبي زمرتان من الجنس البشري في طريقيهما للإنقراض ، و هما البوشمان أو رجال المراعي و الزمرة الثانية هي سلالة الهوتانتوس ، و يمكن اعتبار الزمرتان سلالة واحدة هي سلالة الكوازان ، أمّا البوشمان فرجال قصار القامة (حوالي 152 سم في المتوسط) بينما الهوتانتوس أطول قليلا (حوالي 160 سم في المتوسط) ، و لقد تقلصت هاتان المجموعتان إلى عدد قليل من القبائل المنتشرة في صحراء كالاري³ ، و اليوم لا تمثل هاتان المجموعتان سوى أقلية في جنوب و جنوب شرق إفريقيا و غربها⁴.

¹ د/ فاروق شويقة، الأقزام الإفريقيون، مجلة الدراسات الإفريقية، إصدار معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ع5، ص9 .

² دنيس بولم، الحضارات الإفريقية، ترجمة : علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974م، ص24 .

³ نفسه، نفس الصفحة .

⁴ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص16 .

3 - شعوب البانتو : تنتمي جميع شعوب جنوب القارة الإفريقية باستثناء الحوي حوي و البجامي (الأزام) إلى أسرة لغوية كبرى هي مجموعة شعوب البانتو ، و تتكلم كل من هذه الشعوب بلسان أو بلهجة خاصة أو فرع من اللغة الأساسية الأم أي لغة البانتو ¹ ، و يتكلم هذه اللغة سكان المنطقة التي تمتد من خط الإستواء حتى بلاد الكاب في جنوب إفريقيا ² ، و انقسم البانتو إلى ثلاث مجموعات هي الشرقية و الغربية و الجنوبية ، بينما انقسم البانتو الذين أقاموا في إفريقيا الإستوائية الشرقية إلى مجموعتين أساسيتين هما القبائل التي خضعت للتأثير الحامي و القبائل التي لم تخضع لهذا التأثير ³ .

4 - الشعوب السودانية : تنتشر هذه الشعوب في المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد شرقا حتى السينيغال غربا و مصب نهر النيجر و سواحل غانا في الجنوب ، و لقد قامت عدّة ممالك قوية في هذه المنطقة الشاسعة ، و زوج السودان ذوو قامة طويلة و جسم ممشوق و جلد شديد السواد مع وجود بروز في الكفين ⁴ .

و ينقسم السودانيون إلى عدد كبير من القبائل ، أبرزها قبيلة الولوف المتاخمة لنهر السينيغال و الماندي (الماندنجو) المنتشرين جنوب السينيغال و أعالي النيجر أي من المحيط إلى قلب نيجيريا ، و قبائل الصنغاي الموجودين في الأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو و تمتد على ضفتي نهر النيجر ، و قبائل اليوروبا في الجنوب الغربي من نيجيريا ، و الفولاني القبائل الرعوية البدوية الذين تسربوا في الأزمنة المبكرة في جميع أقاليم السودان ، و قبائل التبو (التوبو) في السودان الأوسط (جنوب ليبيا و جبال تبستي) ⁵ .

5 - المجموعة القوقازية : و تتواجد هذه المجموعة في شمال و شمال شرق إفريقيا ، فالشماليون يسكنون مناطق البحر الأبيض المتوسط ، و ألوانهم بين الأبيض الفاتح و البني الفاتح ، أمّا الساكنين في شمال شرق إفريقيا فألوانهم تميل إلى الأسود في الصومال ، و كانت مجموعات منهم قد مدّت مناطق سكنها إلى أغلب مدن الساحل الشرقي لإفريقيا و البحر الأحمر ⁶ .

¹ د/عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء (مرحلة إنتشار الإسلام)، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1998م، ص 40 .

² دنيس بولم، مرجع سابق، ص 20 .

³ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 42 .

⁴ دنيس بولم، مرجع سابق، ص 20 .

⁵ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 20 و ما بعدها .

⁶ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 17 .

و قد يطلق على هذه المجموعة اسم آخر هو المجموعة الحامية و السامية ، و قد وُجدت الشعوب الحامية في المنطقة منذ عصور قديمة ، و في بداية العصور التاريخية ظهرت أعداد كبيرة من الشعوب الحامية التي لم تكن تسكن شمال إفريقيا فقط بل اندفعت إلى الجنوب و إلى السودان الغربي و الأوسط و إلى الجنوب الشرقي أي إلى القرن الإفريقي ، و الساميون هم العنصر الأساسي الثاني الذي ساد في شمال و شمال شرق إفريقيا ، ففي العصور القديمة لم تخضع الأقسام الشمالية و الشمالية الشرقية لتأثير الحضارة السامية (الفينيقية و العربية القديمة) فقط بل كانت معرضة للإستييطان السامي ، إذ كانت إفريقيا محط الشعوب السامية القادمة من الجزيرة العربية و إلى القرن الإفريقي بصيغة خاصة¹.

و من أهم الشعوب الحامية نجد قدماء المصريين و النوبيين الذين يستقرون على ضفاف نهر النيل إلى الجنوب من أسوان و قبائل البجة ذات العدد الوفير و التي كانت مصدرا من مصادر القوى العاملة التي استعان بها المصريون القدماء ثمّ العرب فيما بعد للعمل في المناجم الموجودة في شمال السودان و إريتيريا و أهمها مناجم الذهب ، و كان لاستقرارهم حول هذه المناجم أثر كبير في عقائدهم ، و عندما بدأ العرب يحلّون محلّ المصريين اختلطوا بالبجة و تزوجوا منهم ، كما زادت روابطهم في كثير من المناطق الأخرى و أهمها الموانئ فانتشر الإسلام بينهم و استمر انتشاره حتى أصبح جميع البجة مسلمين².

¹ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 52 و ما بعدها .

² نفسه، ص 55 و ما بعدها .

المحور الثاني : ممالك السودان الغربي .

المحاضرة رقم 3 :

أولا : إمبراطورية غانة .

- 1 - الموقع و التسمية .
- 2 - مراحل الحكم في إمبراطورية غانة .
- 3 - سقوط إمبراطورية غانة .
- 4 - الجوانب الحضارية لإمبراطورية غانة .

المحاضرة رقم 4 :

ثانيا : إمبراطورية مالي .

- 1 - التسمية و الموقع .
- 2 - التاريخ السياسي لإمبراطورية مالي .
- 3 - الجوانب الحضارية لإمبراطورية مالي .

المحاضرة رقم 5 :

ثالثا : مملكة السنغاي الإسلامية .

- 1 - التاريخ السياسي لمملكة السنغاي قبل الأسكيين .
- 2 - التاريخ السياسي لمملكة السنغاي في عهد الأسكيين .
- 3 - الجوانب الحضارية لمملكة السنغاي .

المحور الثاني : ممالك السودان الغربي .

من خلال ما جاء في المصادر العربية نستطيع أن نصل إلى تحديد قريب من الواقع لمنطقة السودان الغربي ، و هي المنطقة التي تطل غربا و جنوبا على المحيط الأطلسي و تحدها الصحراء الكبرى شمالا و من الشرق تتاحم بحيرة التشاد ، و باختصار تشمل ما يعرف اليوم بحوض السنغال و غامبيا و فولتا العليا (بوركينا فاسو) و النيجر الأوسط ¹ ، و يجري في هذه المنطقة نهران مهمان هما نهر النيجر و نهر السنغال ، و هما يجريان بمحاذاة الصحراء الجنوبية ² ، و قد تعاقبت على منطقة السودان الغربي ثلاثة ممالك هي غانة و مالي و السنغاي (الصنغاي) .

أولا : إمبراطورية غانة (469 – 600 هـ / 1076 – 1203 م) .

شكلت مملكة غانة أول تنظيم سياسي متطور عرفته بلاد السودان خلال العصر الوسيط ، و إذا كنا نجهد الشيء الكثير عن أصولها التاريخية فإنّ الكتابات العربية – خاصة خلال القرن 5هـ/11م – استطاعت أن تنتشلها من أعماق التاريخ المظلم إلى حيّزه المضيء ، الشيء الذي مكنا من الوقوف على بعض التطورات التي عرفتها المملكة ³ .

1 - الموقع و التسمية : إنّ غانة المقصودة بهذا الحديث ليست غانا التي تقع في أقصى الجنوب من غربي إفريقيا و التي عاصمتها أكرا اليوم ، و إنّما المقصود هاهنا هي التي كانت تقع بين منحنى نهر النيجر و نهر السنغال و تضرب حدودها في جنوب موريتانيا الحالية ، و كانت عاصمتها تعرف بكومبي على بعد 200 كم شمال بماكو عاصمة دولة مالي حاليا ⁴ .

و كما سبق ذكره فإنّ تاريخ مملكة غانة البكر يكتنفه الغموض ، فهناك من يرى أنّ تكوينها يعود إلى فترة سبقت ظهور الإسلام لكنّ قوتها ظهرت في العصر الإسلامي ، و رأي آخر يرى أنّها وُجدت منذ القرن 5م و تبوّأت مكانة ذات شأن منذ حوالي القرن 9م حتى النصف الأول من القرن 11م ، بينما هناك من يُرجح قيامها في القرن 4م ⁵ .

¹ د/ الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي و الإقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء (من نهاية القرن 15م إلى بداية القرن 18م) ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م، ص 19 .

² نفسه، ص 20 .

³ أحمد الشكري، الإسلام و المجتمع السوداني "إمبراطورية مالي"، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1999م، ص 109 .

⁴ الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1997م، ج2، ص 167 .

⁵ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 233 .

و فيما يتعلق بكيفية ظهور هذه المملكة فإنّ هناك بعض القصص المتوارثة بين قبائل السونينك (Sonink) الذين يعتبرون البذرة الحقيقية التي تفرعت عنها أرجاء الإمبراطورية ، و تقول إحدى هذه القصص إنّ قبائل السونينك التي تعيش في الوادي الخصيب الممتد من شواطئ نهر السنغال و حتى انحناءة نهر النيجر في الشرق قد تعرّضت في القرن 4م إلى غزو كبير من بعض قبائل البربر ، و قد امتزج البربر تماما بقبائل السونينك و عاشوا حياتهم و تكلموا لغتهم (لغة الماندي) ، و كان من نتيجة هذا الإندماج العنصري التام بين الشعبين ظهور مملكة جديدة في غرب إفريقيا هي مملكة وغانو (Wagadou) ، و هو اسم مستمد من عشيرة وغانو الملكية الحكام التقليديين لقبائل تلك المنطقة ، و لكن أرض تلك المملكة سُميت أرض غانة¹ .

و قيل إنّ كلمة غانة كانت لقباً يطلق على ملوكهم ثمّ اتسع مدلول هذا الاسم حتى أصبح يطلق على العاصمة و الإمبراطورية² ، و قيل إنّ كلمة غانة بلغة السونينك تعني القيادة العسكرية ، و من هنا أُطلقت هذه الكلمة على المدينة التي كانت بها هذه القيادة³ ، و قيل إنّ تسمية غانة أطلقها المؤسسون الأوائل لهذه الإمبراطورية و هم المهاجرون البرقاويون الليبيون و التجار الواردين على المنطقة من الشمال الإفريقي نظراً لأنّها كانت غنية بالذهب⁴ ، و يقال إن غانة كلمة ماندية معناها أمير الجيوش أو قائد الجيوش⁵ .

2 - مراحل الحكم في إمبراطورية غانة : يمكن تقسيم مراحل الحكم في مملكة غانة إلى مرحلتين أساسيتين هما :

أ - مرحلة حكم البيضان : أورد عدد من المؤرخين أنّ أول حكومة حكمت غانة كانت من البيض و تحديداً من مهاجرين من الشمال الإفريقي من إقليم برقة الليبي ، و يرجع ذلك إلى حوالي القرن الأول الميلادي ثمّ استقرت في منطقة أوكار وسط مجموعة من قبائل الزنوج تتكلم لغة الماندي ، و أغلب هذه المجموعة من السونينك⁶ ، و في وقت ما من القرن 4م استطاع هؤلاء المهاجرون من

¹ جوان جوزيف، الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء ، ترجمة : مختار السويدي، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، الطبعة الأولى، 1984م، ص 48 .

² الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 167 .

³ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 234 .

⁴ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 22 .

⁵ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 48 .

⁶ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 23 .

بسط نفودهم و تزعموا السكان ، و ظهر أول ملك منهم و هو كازا و اتخذ مدينة أوكار قرب تمبكت الحالية عاصمة له¹ .

و هناك بعض المؤرخين الغربيين الذين حاولوا أن يدللوا بأنّ الحكومة البيضاء التي حكمت غانة حتى القرن 9م ما هي إلا بعض العناصر اليهودية التي هربت من برقة بعد ثورة اليهود عام 118 م في مدينة شحات و ما نتج عنها من اضطهاد لهذه العناصر² ، و مارست هذه النظرية تأثيرها على الدراسات التاريخية لعشرات السنين ، ثم أخذت تدريجياً تفقد جاذبيتها مع تطور الأبحاث الأركيولوجية و لكن أساساً بسبب خلفيتها السلبية التي تجعل من الإنسان السوداني عاجزاً عن تحقيق أي مكسب حضاري دون تأثير عميق من الخارج ، فالسوداني - شأن البربري في الدراسات الإستعمارية - سلمي غير أصيل فيما ينتجه ، دائماً في حالة انفعال و قاصر عن الإبداع ، و تجنح جل الدراسات حالياً إلى رفض مثل هذه الأطروحات مكتفية بالتأكيد على الأصل السوداني لحكام غانة الأوائل³ .

و ذكر السعدي في تاريخه أنّ قِيمَعَ هو الذي بدأ السلطنة و دار إمارته غانة ، و هي مدينة عظيمة في أرض باغن ، قيل إنّ سلطتهم كانت قبل البعثة ، فملك حينئذ اثنان و عشرون ملكاً و بعد البعثة اثنان و عشرون ، و عدد ملوكهم أربعة و أربعون ملكاً و هم بيضان في الأصل⁴ ، و رجّح محمود كعت أنّ أصل حكام مملكة غانة الأوائل من البيضان و حدّدهم من صنهاجة⁵ ، و قد فسّر لنا هذا المؤرخ معنى كلمة كِيمَعَ بأنّها تعني ملك الذهب فقال : " معناه في لغة وعُكْري ملك الذهب ، كِيّ هو الذهب و مَعَ الملك "⁶ .

ب - مرحلة حكم السونينك : مع نهاية القرن 8م تمكنت أسرة من السونينك و هي أسرة سييسي من طرد أسرة البيض الحاكمة أو دولة كِيمَعَ⁷ ، و استطاعت الدولة تحت هذه القيادة الجديدة أن

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 168 .

² د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 235 .

³ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 112 .

⁴ عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان ، نشر هوداس، باريس، 1981م، ص 9 .

⁵ محمود كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس و ذكر وقائع التكرور و عظامم الأمور و تفريق أنساب العبيد من الأحرار ، دراسة و تعليق : د/ ادم مبابا، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2014م، ص 136 .

⁶ نفسه، ص 134 .

⁷ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 26 .

تخضع بلادا واسعة و وصل هذا التوسع إلى نهايته القصوى في مستهل القرن 11م ، فأصبحت غانة تسيطر على المسافات الممتدة من أعلى نهر السنغال و أعلى نهر النيجر ، و امتد نفوذها إلى موقع تمبكت شرقا و بلاد التكرور أو السنغال غربا و ينابيع النيجر جنوبا و أغلب موريتانيا حاليا شمالا ، و كانت عاصمتها مدينة كومي صالح¹.

تقع مدينة كومي صالح إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكت و تبعد عنها بحوالي 500 كم ، و يرجع تأسيسها إلى حكومة البيض ، و يقال إنَّها بُنيت عام 300م و ظلت تنمو تدريجيا² ، و يصف البكري هذه المدينة قائلا : " و مدينة غانة مدينتان سهيلتان ، أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون و هي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه ، و لها الأئمة و المؤذنون و الراتبون و فيها فقهاء و حملة علم ، و حواليتها آبار عذبة منها يشربون و عليها يعتملون الخضروات ، و مدينة الملك على ستة أميال من هذه و تسمى الغابة ، و المساكن بينها متصلة و مبانيهم بالحجارة و خشب السنط ، و للملك قصر و قباب ، و قد أحاط بذلك كَلَّه حائط كالسور ، و في مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين³ .

3 - سقوط إمبراطورية غانة : قبل نهاية القرن 11م/6هـ و هنت قوى المملكة و تعرضت لكثير من المتاعب ، ففي سنة 433هـ/1042م ظهرت دولة المرابطين التي عملت على نشر الإسلام في جميع المناطق الوثنية غرب إفريقيا ، و ما إن حلَّ عام 445هـ/1054م حتى قامت قوات المرابطين بالهجوم على مدينة كومي العاصمة التجارية لغانة ، و لكنَّ المدينة ظلت تقاوم الهجوم و الحصار لمدة اثنتان و عشرين سنة متواصلة حتى سقطت في النهاية⁴ ، و تحقق الفتح على يد الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني سنة 469هـ/1076م و سقطت حكومة غانة الوثنية ، و منذ ذلك الوقت يمكن أن نُؤرخ لإمبراطورية غانة الإسلامية حتى اختفائها من التاريخ مطلع القرن 13م ، و أضحت حكومتها حكومة إسلامية ، و يقال إنَّ ملكها اعتنق الإسلام بدليل أنَّ المرابطين تركوه في الحكم ، و بإسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة و غيرها من المدن في الإسلام ، و أكثر من هذا فقد

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 168 .

² د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 27 .

³ البكري، مصدر سابق، ص 175 .

⁴ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 61 .

عملت حكومة غانة الإسلامية على الإتصال المباشر بالخلافة العباسية في بغداد¹ ، و كانت سيادة المرابطين على إقليم غانة قصيرة بسبب انشغالهم بشؤون المغرب و الأندلس² ، و لكن سرعان ما تخلصت غانة من هذه السيادة على إثر اغتيال أبوبكر بن عمر اللمتوني سنة 480هـ/1087م على يد أحد زعماء قبائل الموسي (Mossi) في شمال داهومي ، و انتهزت بلاد السودان الغربي الفرصة و ما تبعها من اضطراب الجيوش المرابطية هناك بعد وفاة قائدها فأعلنت استقلالها ، و في نفس الوقت استطاعت بعض الولايات التي كانت تابعة لإمبراطورية غانة أن تنفصل هي الأخرى و تستقل في حكمها و أصبحت ممالك مستقلة ، بينما أصبحت سلطة ملوك السونينك ضعيفة مما أضعف الدولة و مهّد للقضاء عليها³.

و جاءت نهاية المملكة على يد قبائل الصوصو سنة 600هـ/1203م بقيادة سوما نجورو كاتي (Somangure Kante) ، و ما إن سقطت العاصمة حتى فرض الغازون الجدد عليها نظاما استبداديا و جزية طائلة أفلست أهلها⁴ مما دفعهم للهروب نحو مدينة ولاتة و التي لا تقع ضمن سيطرة قبائل الصوصو ، و ما إن حقق سوما نجورو انتصاره ذلك حتى هاجم مدينة كانجابا و التي تعد الموطن الحقيقي للماندنغو مؤسسو دولة مالي فيما بعد و قتل حاكمها و عائلته ، و لم ينج منهم سوى الإبن الأصغر الذي فرّ من هذا البطش ، و بذلك انتهت مملكة غانة⁵.

و من عوامل الإنهيار التي برزت قبل هذا بأمد طويل العامل الطبيعي و المتمثل في الجفاف التدريجي الذي حلّ بالبلاد الواقعة شمال حوض السنيغال قبل القرن 5هـ/11م مما دفع الناس للهجرة ، و عامل ثان يتمثل في جهاد المرابطين و إن كان لم يؤدّ إلى اختفاء المملكة غير أنّه أدّى إلى تحولها إلى الإسلام⁶.

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 171 .

² د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 247 .

³ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 172 .

⁴ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 65 .

⁵ د، بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 196 .

⁶ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 42 .

4 - الجوانب الحضارية لإمبرطورية غانة :

أ - نظام الحكم في غانة : كان نظام الحكم السائد في غانة نظاما ملكيا استبداديا ، و النظام المتبع في وراثة العرش هو توريث ابن الأخت و في ذلك يقول البكري : " و مذهبهم أنّ الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك ، لأنّه لا يشك فيه أنّه ابن أخته و هو يشك في ابنه و لا يقطع على صحة اتصاله به " ¹ ، و هذه الظاهرة أي توريث ابن الأخت العرش لها جذورها في التقاليد الوثنية القديمة ، و عند وصول الإسلام إلى غانة أضعف من هذه الظاهرة لكنّه لم يقض عليها قضاء كاملا في جميع المقاطعات في السودان الغربي ، و منذ أواخر القرن 5هـ/11م أي فترة تغلغل الإسلام صار الملوك يُورثون الحكم لأبنائهم الذكور ² .

و كان الملك يباشر سلطته انطلاقا من العاصمة كومي صالح ، و يساعده في مهامه عدد من الوزراء و الموظفين ، و يظهر أنّ علاقة السلطة الحاكمة بالرعايا كانت مدعمة بقيم اجتماعية ثقافية أصيلة تتمثل أساسا في العدل الذي يطبع سلوك الملوك الحاكمين تجاه الرعية ³ .

ب - التقسيم الإداري : قُسمت غانة إلى ولايات أو ممالك ، و كان لكل منها حاكم يُسيّر أمورها ، و من أشهرها أودغست و أوكار (و هي نواة المملكة) إضافة إلى هوذ في الوسط و ممالك عرب المغاربة في الشمال و ديارا و باسيكورو في الشرق و واجادو و بغن في الجنوب و الجنوب الشرقي ⁴ ، و بجانب الوالي نحد القاضي أو الأمين و إليه يحتكم أهل غانة في قضاياهم و مختلف مشاكلهم اليومية ، و في إطار التسيير الجهوي لا يستبعد مشاركة الزعامات المحلية في الحياة السياسية ، و حتى يضمن الملك ولاءها و عدم عصيانها كان يأخذ أبناءهم رهائن يقيمون عنده في القصر ⁵ .

ج - الإقتصاد في غانة : إنّ سيطرة مملكة غانة على المراكز التجارية و بعض مناجم الذهب جعلها تحتكر أهم السلع المتداولة في التجارة الصحراوية الذهب و الرقيق ، و إذا أضفنا مداخيل الضرائب

¹ البكري، مصدر سابق، ص 175 .

² د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 32 .

³ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 114 .

⁴ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 32 .

⁵ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 114 .

المفروضة على السلع الواردة من البلاد و الصادرة عنها أمكننا فهم الأسس التي قام عليها الرخاء الإقتصادي¹.

و عرفت غانة نشاطا زراعيا كان عماده نهر النيجر ، و كانوا يزرعون على ضفافه مختلف الخضروات و الفواكه ، كما تمتعت غانة بثروة حيوانية برّية و مستأنسة من بقر و غنم و غزلان و أسود ، و مارس السكان أيضا حرفا مختلفة كصناعة القوارب التي تستخدم في حمل الأمتعة على نهر النيجر ، كما كانت لديهم صناعة الملابس من صوف يستخرج من شجر يدعى توزري ينمو ببلادهم².

د - الديانات في غانة : يوجد في غانة عدد من الديانات و منها الإسلام الذي يدين به عدد من السكان ، و قد ذكر البكري عن عاصمة غانة أنّها مدينتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون و هي كبيرة³ ، كما توجد العبادات الوثنية و المجوسية و ذكر منها البكري أيضا عبادة الدكاكير و الدكور عندهم الصنم⁴ ، و ذُكر أنّ بداية الإسلام في المملكة ارتبط بالمدن في حين ظلت الأرياف بعيدة عن التأثير الإسلامي ، و هذه الظاهرة تمثل ظاهرة عامة في بلاد السودان و لا تخص مملكة غانة وحدها⁵.

¹ نفسه، ص 116 .

² د/الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص ص 38 - 39 .

³ البكري، مصدر سابق، ص 175 .

⁴ نفسه، ص 172 .

⁵ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 115 .

ثانيا : إمبراطورية مالي (596 – 874 هـ / 1200 – 1469 م) .

بعد تفكك إمبراطورية غانة الوثنية سنة 460هـ/1076م بفعل جهاد المرابطين ثم انسحابهم من المنطقة وُجد فراغ سياسي جعل عددا من الأقاليم الغانية تنفصل عنها و تُكوّن دويلات مستقلة ، و آل الأمر أخيرا إلى قبائل الماندينجو المسلمة القاطنة في مقاطعة كانباج و التي يرجع إليها الفضل في تكوين مملكة مالي الإسلامية¹.

1 - التسمية و الموقع : لقد تناول عدد من الجغرافيين و المؤرخين مملكة مالي و لعلّ أقدمهم البكري حيث أطلق عليها لفظ ملل ، و قال إنّ ملكهم يعرف بالمسلماني و نقل قصة إسلامه² ، أمّا محمود كعت في تاريخه فيطلق عليها لفظ مل³ ، و السعدي يسميها ملّي⁴ ، و عند حسن الوزان نجد التسمية مالي⁵ ، و قد عُرفت مالي عند البعض ببلاد التكرور ، فقد أورد القلقشندي عند حديثه حديثه عن مالي أنّها المعروفة عند العامة ببلاد التكرور⁶ ، و الصحيح أنّ بلاد التكرور أحد الأقاليم التي خضعت لسيادة دولة مالي⁷.

و قبائل الماندينجو التي أسست مملكة مالي تحمل عدّة أسماء و منها الماندينكا و الماندي و ماننج ، و هي كلها متقاربة في حروفها ، و على العموم فإنّ كلمة الماندي في اللهجة السونينية تعني مركز إقامة السيد أو الحاكم و بمعنى آخر العاصمة⁸ ، و هناك تفسير آخر لكلمة ماندينج ، أمّا "ما" فتدل على معنى الأم و كلمة "دينج" تدل على معنى الطفل أو الإبن ، و الكلمة مجتمعة تكون بمعنى ابن الأم ، و هذا يدل على أهمية النسب إلى الأم و هو أمر مألوف عند الماندينجو ، و المهم أنّ كلمة ماندي ما هي إلا اصطلاح لغوي أكثر منه جنسي للدلالة على مجموع قبائل الماندينجو⁹.

¹ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 48 .

² البكري، مصدر سابق، ص 178 .

³ محمود كعت، مصدر سابق، ص 137 .

⁴ السعدي، مصدر سابق، ص 9 .

⁵ الحسن الوزان، مصدر سابق، ص 30 .

⁶ القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص 282 .

⁷ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 50 .

⁸ نفسه، ص 48 .

⁹ نفسه، ص 49 .

و تغطي مملكة مالي مساحة شاسعة من الأرض ، فالقلقشندي يقول إنّ هذه المملكة في جنوب المغرب متصلة بالبحر المحيط و حدّها في الشرق بلاد برنو و في الشمال جبال البربر و في الجنوب الهمج¹ ، و جمهورية مالي الحالية لم تشكل إلا جزءا بسيطا من تلك الرقعة الشاسعة التي كانت تمتلكها إمبراطورية مالي من قبل و التي كانت تضم ما يعرف اليوم بالسنغال و غامبيا و موريتانيا ، بالإضافة إلى الرقعة التي تشغلها دولة مالي حاليا² .

2 - التاريخ السياسي لإمبراطورية مالي : بعد استيلاء الصوصو بقيادة سومانجورو على مملكة غانة سنة 600هـ / 1203م و هجومه على منطقة كانجاب الموطن الرئيسي للماندنغو و قتل حاكمها و عائلته التي لم ينج منها سوى الإبن الأصغر الذي تمكن من الفرار ليؤسس فيما بعد مملكة مالي ، و اعتبرت الباحثة جوان جوزيف رواية تأسيس المملكة من القصص و الأساطير التاريخية المتوارثة من قبائل الماندنغو ، و الأسطورة حسبها تحكي قصة الصراع بين هذه القبائل و الملك الظالم سومانجورو الذي كانت فرائضه ترتعد خوفا من انتقام الماندنغو منه ، لذلك دبّر سومانجورو حيلة استطاع بها أن يجمع الأمراء الأشقاء الإثني عشر الذين كان ينحصر فيهم حق اعتلاء عرش كانجابا ، و بطريقة وحشية ذبح سومانجورو أحد عشر أميرا و ترك أخاهم سوندياتا و لم يذبحه استصغارا لشأنه ، فقد كان هذا الأمير كسيحا لا يستطيع تحريك قدميه ، و لهذا فلم يتوقع سومانجورو أي خطر من جانبه³ .

و يذكر باحث آخر أنّ الملك سومانجورو قد قتل ملوك مالي (مقاطعة كانجابا) و عددهم أحد عشر ملكا ، و ذلك فيما بين سنوات 618هـ - 627هـ / 1222م - 1230م ، و كان يقتلهم بمجرد اعتلائهم العرش ، إلا أنّه في النهاية لقي مقاومة عنيفة من الملك الثاني عشر المسّمى سوندياتاكيثا الذي نجح في استمالة أتباع كثيرين و كوّن جيشا تمكن به من مواجهة قوة الصوصو قرب نهر النيجر حوالي سنة 632هـ / 1235م و استطاع أن يهزمها⁴ .

و مهما قيل حول هذه الحادثة التاريخية فإنّ الشيء الذي يجمع عليه أغلب المؤرخين أنّ سوندياتاكيثا هو المؤسس الحقيقي لمملكة مالي ، و معنى كلمة سوندياتا بلغة الماندي الأسود

¹ القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص 282 .

² د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 297 .

³ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 66 .

⁴ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 262 .

الجائع¹ ، و قد اشتهر باسم آخر هو ماري جاطة ، و حسب ابن خلدون فإنّ ماري عند أهل مالي تعني الأمير الذي يكون من نسل السلطان و جاطة الأسد² ، فيصبح معنى ماري جاطة الأمير الأسد ، و استطاع هذا الأمير أن يقهر ملك الصوصو سنة 632هـ / 1235م و أن يضم بلاده ثم يوسع نفوذه شمالا و يستولي على البقية الباقية من مملكة مالي سنة 637هـ / 1240م³ .

و كانت عاصمة مالي الأولى تعرف بمدينة جريبا (Geriba) ، و اتخذها سوندياتاكيثا مقرا له بعد اعتلائه عرش كانجابا ، و لكن بعد اتساع الأراضي التي فتحها وجد أنّه من المناسب نقل العاصمة إلى مدينة نيامي (Niemi) الواقعة على نهر النيجر في مكان يتوسط أرجاء الإمبراطورية الجديدة التي أطلق عليها اسم إمبراطورية مالي⁴ ، و يطلق على العاصمة هذه أيضا اسم نياني (Niani) ، و توجد على أحد روافد نهر النيجر و هو رافد سانكراني (Sankarani)⁵ .

و امتدت مملكة مالي إلى بلاد الولوف غربا عند المحيط الأطلسي و إلى أواسط النيجر شرقا و إلى كومي صالح شمالا ، و اتصفت فترة حكم سوندياتاكيثا التي امتدت قرابة العشرين عاما إلى أن توفي سنة 653هـ / 1255م بالأمن و الرخاء الإقتصادي ، و سار أتباعه من بعده على سياسته الحكيمة التي ترمي إلى التعاون مع زعماء القبائل التي تقع ضمن نفوذهم بإنشاء صداقات و مصاهرات و منحهم إدارة الأقاليم مقابل ولائهم له و أخذ أبنائهم رهائن في قصر الملك طوال فترة إدارتهم للأقاليم⁶ .

و بعد وفاة سوندياتاكيثا أو ماري جاطة سنة 653هـ / 1255م استمر خلفاؤه في توطيد أركان الدولة و توسيع حدودها ، و قد امتدت رحلة التأسيس هذه حتى نهاية القرن 7هـ / 13م ، و تعاقب خلالها على الحكم سبعة ملوك ، اشتهر منهم منساولي بن ماري جاطة (653-669هـ / 1255-1270م) ، و بتوليته تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني الذي يجعل من ابن الأخت المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته⁷ .

¹ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 66 .

² ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 266 .

³ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 176 .

⁴ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 66 .

⁵ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 183 .

⁶ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 53 .

⁷ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 183 .

و منساولي معناه السلطان علي ، و قد عرف لدى أهالي مالي بالسلطان الأحمر نظرا لأنّه كان شديد البياض ، و بعد أن ذاع صيته و أحكم سيطرته على البلاد قام برحلته إلى الأراضي المقدسة في عهد الظاهر بيبرس في دولة المماليك ، و كانت ترافقه في هذه الرحلة قافلة ضخمة كان خط سيرها الطريق الصحراوي مارة بليبيا عبر غات و اتجهت نحو مصر و منها إلى الحجاز¹ ، و أصبح هذا الطريق ذا أهمية بالغة في المبادلات التجارية التي أصبحت تتم بين مناطق غرب إفريقيا و جميع المناطق الإفريقية التي يخترقها الطريق المتجه شرقا و بين التجار العرب في مناطق شبه الجزيرة العربية² .

و بعد وفاة منساولي تولى ملوك ضعاف ، و قد ذكر ابن خلدون بعضهم و منهم المسمى خليفة و وصفه بالحمق ، و قال عنه إنّه كان يرمي السهام على الناس فيقتلهم فوثبوا عليه و قتلوه ، ثمّ ولي عليهم مولى من مواليهم تغلب على ملكهم اسمه ساكورة³ ، و قد استطاع أن يخطو بشعبه خطوات ثابتة ، و كانت أول أهدافه الأولى إخضاع المناطق المتمردة على المملكة ، فوجّه قواته إلى بلاد كوكو و التكرور و جاو في الغرب و استطاع هزيمتها و ضمها إلى مملكته⁴ ، و بذلك اعتبر ساكورة من أعظم ملوك مالي ، حيث تمكن في فترة حكمه (684-700 هـ / 1285-1300 م) من استرجاع هيبة الإمبراطورية ، و استطاع بفضل فتوحاته العسكرية إحكام سيطرته على الحوض الأوسط لنهر النيجر حيث بلاد كوكو (إمارة سنغاي) ، و بذلك رسم الحدود القصوى لمملكة مالي⁵ .

و يبدو أنّه حالما انتهى من تأمين حدود دولته حتى ذهب حاجا لبيت الله الحرام ، تلك الرحلة التي انتهت بمقتله و هو في طريق العودة على يد الدناقل في مدينة تاجورا⁶ ، و اختلف الباحثون في موقع تاجورا هذه ، فأحمد الشكري قال إنّها الواقعة بالقرب من طرابلس و كان ذلك سنة

¹ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 54 .

² جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 71 .

³ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 267 .

⁴ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 55 .

⁵ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 185 .

⁶ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 267 .

700هـ/1300م¹ و وافقه الدكتور بشّار الملاح² ، أمّا الدكتور الهادي المبروك الدالي فقد قال إنّ هذا ليس بصحيح ، و تاجورا التي قتل فيها ساكورة إنّما تقع في الصومال و ليست تاجورا الليبية³ . و يقال إنّ الفترة التي أعقبت وفاة ساكورة شهدت بعض الفتن و الإضطرابات⁴ ، و عاد الحكم الحكم من جديد إلى أسرة كيتا ، فتولى أمر البلاد الملك منسا موسى الذي يعتبر أقوى ملك حكم مالي على الإطلاق ، و قد اختلف كثير من المؤرخين حول تاريخ بداية حكمه ، و لكن أقرب الفرضيات هي التي تقول إنّّه بدأ في الحكم سنة 707هـ/1312م⁵ .

و في هذا الإطار يقول ابن خلدون أنّ الملك انتقل من ولد السلطان ماري جاطة إلى ولد أخيه أبي بكر ، فولي عليهم موسى بن أبي بكر و كان رجلا صالحا و ملكا عظيما و له في العدل أخبار مأثورة⁶ ، و يعرف أيضا باسم منسا كانكان موسى (Mansa kankan musa) ، و اشتهر أيضا باسم موسى الأسود⁷ ، و منسا في لغة الزنج تعني ملك و موسى اسمه و كانكان اسم اسم أمه ، و هو ما درج عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الإبن لأمه نظرا لأنّ الأم في تلك الفترة تتزوج أكثر من رجل و لذلك ينسب الأبناء إليها⁸ ، كما سُمّي بأسماء أخرى مثل "حونجو" أو "كونجو" و اللذان استخدما من قبل الفرنسيين و يعودان إلى أم السلطان المسمّاة ناناكانجو (Nanakango) من خلال إبراز النسب للأم و الذي كان سائدا في غرب إفريقيا لاسيما في فترات سابقة للإسلام ، و يبدو أنّ التركيز على النسب للأم من قبل الغربيين الذين احتلوا القارة و حاولوا طمس هويتها الإسلامية و قطع صلتها بالعرب المسلمين و إعادة العادات و التقاليد و النظم الوثنية التي كان يتبعها الأفارقة قبل إسلامهم ، و مسألة النسب ظهرت على عكس الصورة بالنسبة للمؤرخين المسلمين الذين ربطوا نسب و اسم السلطان باسم والده⁹ .

¹ أحمد الشكري، مرجع سابق، ص 185 .

² د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 198 .

³ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 56، هامش 1 .

⁴ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 199 .

⁵ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 56 .

⁶ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 267 .

⁷ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 72 .

⁸ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 57 .

⁹ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 200 .

و قد أطبقت شهرة هذا الملك الآفاق ، و ينقل لنا محمود كعت ما كان قد سمعه في عصره عنه فقال : " كنا نسمع من عوام عصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة ما خلا السلطان الأعظم ، سلطان بغداد و سلطان مصر و سلطان بُرْن و سلطان مل¹ .

و قد وصلت مملكة مالي القمة في عهد منسا موسى حيث بلغت ذروة مجدها و اتساعها ، فقد امتدت من بلاد التكرور غربا عند شاطئ المحيط الأطلسي إلى منطقة دندي و مناجم النحاس في تكدة شرقا (شرقي النيجر) ، و من مناجم الملح في تغازة في الصحراء شمالا إلى فوتاجالون و مناجم الذهب في ونقارة جنوبا ، و شملت الحدود الجنوبية أيضا المنطقة الإستوائية . و تقدر مساحة إمبرطورية مالي في ذلك العهد بمساحة كل دول غربي إفريقية مجتمعة ، و فاقت شهرتها دولة غانة من حيث العظمة و القوة و الثروة و الإتساع و الشهرة ، فقد ضمت داخل حدودها مناجم الذهب و الملح و تحكمت في طرق القوافل بين هذه المناجم شمالا و جنوبا و ما نتج عن ذلك من غنى فاحش و ثراء جم² .

و اشتهر منسا موسى برحلته المشهورة إلى الحج و التي بالغ المؤرخون في وصف ما حملته من مال و عبيد ، و نص المقرئزي في هذا السياق الأسطوري إذ يذكر أنّ منسا موسى قدم مصر في طريقه إلى الحج سنة 724هـ/1323م بهدايا جلييلة و ذهب كثير ، و كان سلطان المماليك آنذاك الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي تلقاه و جهزه بكل ما يحتاج إليه ، و أنّ سعر دينار الذهب انخط بستة دراهم ، و أنّ منسا موسى قدم بأربعة عشر ألف جارية برسم خدمته خاصة³ ، أمّا محمود كعت فذكر أنّ منسا موسى كان حمل معه أربعين بغلة من ذهب⁴ ، و قال أيضا عن قافلة الحج هذه أنّه خرج بعدما وصل رأس قافلته بتنبكت و هو بداره في مل⁵ .

و بعد حكم دام أكثر من عشرين سنة توفي منسا موسى سنة 738هـ/1337م⁶ ليتولى من بعده ابنه مغا و كان ضعيف الشخصية ، حدثت في عهده مشاكل عديدة أهمها ازدياد خطر قبائل

¹ محمود كعت، مصدر سابق، ص 126 .

² الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 177 .

³ المقرئزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء و الملوك ، تحقيق و تعليق : د/ جمال الدين الشّيبال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م، ص 141 و ما بعدها .

⁴ محمود كعت، مصدر سابق، ص 125 .

⁵ نفسه، ص 121 .

⁶ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 63 .

الموسي التي هاجمت مدن مالي باستمرار¹ ، ثمّ اعتلى العرش منسا سليمان بن أبي بكر و امتد حكمه من 742هـ إلى سنة 762هـ / 1341-1360م ، فعمل على إصلاح ما فسد و اهتم بالفقه و جلب الفقهاء من المالكية و شيّد المدارس و المساجد ، و قد زار مالي في عهده ابن بطوطة (ت 779هـ/1377م) فأكرمه ، ثمّ قام برحلته إلى الحج بعد أن وطّد أركان بلاده² .

و بعد وفاة السلطان سليمان تولى الحكم ابنه قنبتا و الذي لم يحكم سوى تسعة أشهر فقتل سنة 762هـ/1360م ، و خلفه ماري جاطة الثاني ابن مغا بن موسى و عُرف بالملك المبذر ، فقد أنهك خزينة بلاده ، و وصفه ابن خلدون بأنّه كان شرّ و آل عليهم بما سامهم من النكال و إفساد الحرم³ .

و بوفاة ماري جاطة الثاني سنة 776هـ/1374م تولى ملوك ضعاف ، كان أولهم ابنه موسى الثاني (776 – 789 هـ / 1374 – 1387 م) ، ثمّ تولى أخوه منسا مغا الذي قتل بعد سنة من حكمه ، ثمّ خلفه حاكم آخر يدعى صندكي (791 – 793 هـ / 1388 – 1390 م) و كان هو الآخر ذو شخصية ضعيفة و وصلت البلاد في عهده إلى قمة الفوضى ، ثم جاء بعده رجل من أسرة كيتا يدعى محمود ، و على ما يبدو أنّه لم يعمر طويلا ، و جاء بعده ثلاث ملوك ضعاف⁴ .

و بسبب الصراعات على السلطة فقد بدأ الضعف يدبّ في جسم الدولة و انفصلت عنها الكثير من الأقاليم ، و بدأت السنغاي تسيطر على مقاليد الأمور لاسيما مع تزايد هجمات الطوارق على الأجزاء الشمالية من الدولة و استيلائها على مدينتي تنبكتو و ولاتة و نهبهما ، و من الجنوب الغربي شنّ الفولانيون و التكارنة هجمات موجعة على الدولة سيطروا خلالها على أجزاء منها ، و في الجنوب شنّت قبائل الموسي هجمات كبيرة و واسعة على مالي ، فيما واصلت السنغاي هجماتها من الشرق حتى أسقطت الدولة و حوّلت أملاكها إليها⁵ .

¹ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 203 .

² د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 64 .

³ ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص 269 .

⁴ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 65 .

⁵ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص ص 204 – 205 .

3 - الجوانب الحضارية لإمبرطورية مالي :

أ - الجانب السياسي و الإداري : تكاد تكون الأنظمة السياسية و الإدارية في مختلف الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا متشابهة خاصة بعد مرحلة انتشار الإسلام ، فقد كان نظام الحكم في مالي ملكيا وراثيا ، و كان تولي العرش لا ينحصر في أبناء الملك وحدهم بل يتعداه إلى الإخوة ، و يسير الملك شؤون الحكم بمساعدة نائبه و يطلق عليه قنجا و عادة ما يكون متولي هذه الوظيفة ابن الملك ، و يوجد مجلس الوزراء و غالبا ما تسند الوزارات إلى عرب الشمال الإفريقي المتواجدين هناك ، فقد تولوا الخزانة و القضاء و الترجمة و الإستشارة ، بالإضافة إلى موظفين يسيرون دواوين المملكة ، و قد يصدر الملك أوامره شفويا أو يأمر صاحب الديوان بكتابتها باللغة العربية ، و يعقد الملك اجتماعات دورية في قصره للمشورة و متابعة تنفيذ توجيهاته السابقة إلى حكام الأقاليم و التأكد من تنفيذها¹ .

أما التقسيم الإداري لمملكة مالي فقد كانت مقسمة إلى خمسة أقاليم و هي :

- إقليم مالي : و يتوسط أقاليم المملكة .

- إقليم صوصو : يقع إلى الغرب من إقليم مالي .

- إقليم غانة : يقع غرب الصوصو و يمتد إلى المحيط و قد أسلم أغلب أهله .

- إقليم كوكو : يقع شرق مالي و قاعدته مدينة كوكو .

- إقليم التكرور : يقع شرق كوكو .

و قد شكّل كل إقليم من الأقاليم الخمسة مملكة شبه مستقلة تتجمع حول سلطان مالي ، و لذلك يمكن القول بأن إمبراطورية مالي كانت بمثابة اتحاد كنفدرالي ، و ممّا يؤكد ذلك أنّ إقليم غانة لم يكن يربطه بالسلطة المركزية سوى الولاء الاسمي² .

ب - الجانب الإقتصادي : لقد تزامن الإزدهار السياسي مع الإزدهار الإقتصادي لمملكة مالي ،

و مرّد ذلك إلى الإستقرار الأمني الذي شهدته البلاد ممّا شجّع التجار من شمال إفريقيا على ارتياد

تلك المناطق في حركة دؤوبة ، و من جهة أخرى سيطرت المملكة على مقدراتها الإقتصادية مثل

¹ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص ص 66 - 67 .

² د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص ص 262 - 263 .

مناجم الملح في تغازا و الذهب في نقارة و النحاس في تكدا ، و كان عماد الإقتصاد المالي التجارة التي ربطت بينها و بين مدن الشمال الإفريقي عبر شبكة من الطرق التجارية و منها :

- طريق غانة موجدور فاس عن طريق اودغست .

- طريق تنبكت موجدور فاس عن طريق منجم تغازا .

و كانت القوافل التجارية تحمل الأمتعة و القماش و الحرير و الملح و ترجع محملة بالذهب و التوابل و العبيد¹ .

و شهدت البلاد حركة زراعية على ضفاف نهر النيجر تمثلت في زراعة الخضروات المختلفة

كالبصل و البطيخ و القمح و الذرة ، و انتشرت الزراعة في مختلف أقاليم المملكة لما امتازت به من تربة خصبة و مياه عذبة ، كما كانت هناك ثروة حيوانية هائلة مثل الأغنام و الماعز و الإبل ، إضافة إلى حيوانات برية مثل الغزلان و النمور و الأسود و غيرها ، و توفرت في البلاد ثروة سمكية معتبرة² .

ج - الجانب الاجتماعي و الثقافي : يتشكل المجتمع المالي من قبائل و عشائر ، فالنظام المنتشر في

المنطقة على رأسه شيخ القبيلة و يمثل القمة في الهرم الاجتماعي حيث يعتبر الزعيم و القائد

العسكري و الديني ، و كانت العشيرة تشكل وحدة اقتصادية و سياسية كبيرة تتألف من وحدات

أخرى صغيرة و مبعثرة و متجاورة و هي الأسرة ، حيث تطور التضامن بين أفراد العشيرة في المسؤولية

المشتركة و في الأخذ بالتأثر³ ، و يقسم المجتمع المالي إلى طبقات و على رأسها طبقة الملك و أفراد

أسرته ، ثم طبقة الفرسان ثم طبقة العامة و تشكل أغلب أفراد المجتمع و تشكل من عامة الناس ،

و أدنى طبقة هي طبقة العبيد⁴ .

أمّا عن الحياة الثقافية و المعتقدات الدينية فإنّها في مالي لا تختلف عن سائر المجتمعات الإفريقية

الأخرى ، حيث عمّ الجهل و انتشرت الأفكار و المعتقدات الساذجة القائمة على أصول السحر

و الشعوذة ، و هناك قبائل تعتقد بأنّها تنحدر من بعض الحيوانات ، لذا فقد أصبح من الأمور

الطبيعية و المشاعة عند تلك القبائل تحريم أكل تلك الحيوانات ، كما انتشرت الوثنية بين السكان

و استمرت متواجدة بين بعض القبائل حتى بعد انتشار الإسلام⁵ .

¹ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 76 .

² نفسه، ص ص 78 - 79 .

³ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص ص 262 - 263 .

⁴ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 80 و ما بعدها .

⁵ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 264 .

ثالثا : مملكة السنغاي الإسلامية (777 – 1000 هـ / 1375 – 1593 م) .

لقد بلغت إمبراطورية غانة و إمبراطورية مالي شأوا عظيما و استطاعتا السيطرة على بطاح واسعة من مناطق غرب إفريقيا ، و لكن أيا من هاتين الإمبراطوريتين لم تبلغ ما بلغته إمبراطورية السنغاي من القوة و السيطرة خلال القرنين التاسع و العاشر الهجريين / 15 – 16 م .

1 - التاريخ السياسي لمملكة السنغاي قبل الأسيكيين :

السنغاي ، و اختلف المؤرخون حول أصول هذه القبائل ، و ذكرت الباحثة جوان جوزيف أنّ أصلها يعود إلى قبيلة نشأت على ضفاف نهر النيجر الأوسط في الفترة ما بين القرنين السابع و التاسع الميلاديين حين غزت قبيلة ضيا (Dia) و هي إحدى قبائل البربر تلك المناطق و أسسوا أسرة حاكمة و هي أسرة ضيا ، و أول ملك تولى كان اسمه ضيا العالمين ، و في بداية القرن 11 م و تحديدا سنة 400هـ/1010م أسس الملك كوزي (Kosi) أول عاصمة للملكة و هي مدينة جاو (Gao) و تقع شرق الثنية الشمالية لنهر النيجر ، و قد اعتنق هذا الملك الإسلام ، و أصبح من المعتاد بعدئذ أن يكون حاكم قبائل السنغاي من المسلمين رغم أنّ القبائل نفسها لم تعتنق الإسلام و ظلت على ديانتها¹.

و بعد انتهاء حكم أسرة ضياء لمملكة السنغاي سنة 736هـ/1335م تسلّم حكم البلاد عائلة "سني" حينما استقل علي كلن عن مالي ، و حكمت هذه العائلة و التي هي فرع من أسرة ضياء في الفترة (736 – 899 هـ / 1335 – 1439 م)².

و كانت سنغاي لفترة طويلة من الزمن بين التبعية المطلقة لمالي و الإستقلال الذاتي عنها أحيانا أخرى ، فقد غزت جيوش من الماندنغ غاو عاصمة السنغاي ما بين 683-699هـ/1285-1300م و أقام منسا موسى مسجدا في المدينة عقب عودته من الحج في حدود سنة 723-724هـ/1324-1325 م ، و نظمت جماعات الماندنغ المنطقة الواقعة على منحني نهر النيجر إقتصاديا ، فأصبحت غاو موقعا تجاريا كبيرا³

¹ جوان جوزيف، مرجع سابق، ص 81 .

² د/ بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 205 .

³ سينيكى مودي سيسوكو، الصنغي من القرن 12م إلى القرن 16م " تاريخ إفريقيا العام "، اللجنة الدولية العلمية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج4، ص 200 .

و بوفاة منسا موسى سنة 738هـ/1337م أخذت سنغاي تشق عصا الطاعة على سلاطين مالي حيث تجرأت على مهاجمة الحدود الشرقية للملكة و السيطرة عليها ، الأمر الذي أجبر ماري جاطة وزير الملك موسى الثاني (776-789هـ/1374-1387م) على تجريد حملة عسكرية لإسقاط غاو إلا أنّ الحملة فشلت ، و منذ تلك الفترة تخلصت سنغاي من سيطرة مالي¹ .

و يعد سني علي (870-898هـ/1464-1492م) المؤسس الحقيقي لدولة السنغاي لما شهدته عهده من ضم للكثير من الأقاليم لاسيما بعد استيلائه على مدينة تنبكت سنة 873هـ/1468م و مدينة جني سنة 878هـ/1473م ، و كان سني علي شديد الغضب غير ملتزم على نحو كامل بتعاليم الإسلام ، يقوم بإصدار أوامره بقتل كل من لا يتفق معه في رأي أو قول أو كل من يقم له النصح من علماء بلاده الذين قتل منهم الكثير ، لكنّه يعود و يندم على فعلته بعد ذلك² ، و قد شكك كثير من المؤرخين في صدق إسلامه و اعتبروه تيارا مضادا للإسلام³ ، و يذكر أحد الباحثين أنّ سني علي لم يحسن إسلامه حيث لم يهجر يوما العبادات التقليدية للسنغاي ، لذلك لم يتوقف رجال الدين عن انتقاده⁴ ، و لم يتردد المؤرخ عبد الرحمان السعدي في وصفه بالظلم و الفسق حيث قال : "إنّه كان ذا قوة عظيمة فاسقا معتديا متسلطا سفاكا للدماء ، قتل من الخلق مالا يحصيه إلا الله ، و تسلط على العلماء و الصالحين بالقتل و الإهانة و الإذلال"⁵.

و من فتوحات سني علي أيضا فتح مملكة الموسي و ضمّها لمملكته ، و تقدّم شرقا فهاجم بعض إمارات الهوسا ، ثمّ اتجه غربا فاستولى على بلاد المانديجو و الفولاني و معظم ممتلكات دولة مالي الإسلامية ، و اتجه شمالا حتى مواطن الطوارق⁶ ، و عند وفاته سنة 898هـ/1492م كان سلطانه نافذا على إمبراطورية كبيرة ، و يقال عن وفاته أنّه أثناء عودته من إحدى الغزوات داهمه سيل جارف في الطريق فأهلكه ، و خلفه ابنه أبو بكر الذي رفض العلماء الإبقاء عليه في الحكم لضعفه

¹ د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 98 .

² د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص ص 205 – 206 .

³ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 303 .

⁴ سنيكي مودي سيسوكو، مرجع سابق، ص 204 .

⁵ عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 64 .

⁶ الموسوعة الإفريقية، مرجع سابق، ج2، ص 184 .

و اختاروا بدلا منه وزيره محمد توري¹ ، و ذهب أحد الباحثين إلى أنّ هذا الوزير و بالتعاون مع أخيه عمر كمزغ تأمرا على سني علي و قاما بالإطاحة به².

2 - مملكة السنغاي في عهد الأسكيين : بعد وفاة سني علي سنة 898هـ/1492م خلفه ابنه

و لكن محمد بن أبي بكر توري جمع جنوده و خاض معركتين ضد ابن سني علي و هزمه و أجبره على الفرار إلى قرية قريبة من جاو و بقي فيها إلى أن توفي سنة 899هـ/1493م ، و بموته انتهى عهد السني ، و يقال إنّ بنات سني علي عندما سمعن بانتصار توري و توليه العرش هتفن "إسكيا" ، و معناه ليس هو ، فلما سمع ذلك أمر ألا يُلقب إلا به ، فقالوا أسكيا محمد ، و يقال بأنّ أصل محمد توري من عشيرة توري المنحدرة من التكرور و أنّ أصلهم من صنهاجة³ .

و بعد تولي الأسكيا محمد الحكم قام بتنظيم شؤون البلاد من الناحية الإدارية و استخدم طائفة من الموظفين الأكفاء ، و نظّم الجيش و أفاد من الخبرات السابقة ، و اتخذت حركته مظهرا إسلاميا واضحا نتيجة عملين قام بهما ، الأول اهتمامه بالشؤون الدينية و استغلاله ثروة سلفه في النهوض بها ، و الثاني قيامه بالحج إلى بيت الله الحرام سنة 902هـ/1495م ، و كان موكبه يفوق ما عرف عن موكب منسا موسى من حيث الفخامة و الأبهة ، و استردت تنبكت في عهده مكائنها كمركز للدراسات الإسلامية في غربي إفريقيا⁴ ، فقد عرفت المدينة في هذا العهد كل المعارف التي توصل إليها العالم الإسلامي⁵.

و كان الأسكيا الحاج محمد قد تبني حركة جهاد كبيرة ضد قبائل الموسي الوثنية ما بين سنتي 903-904هـ/1497-1498م و انتصر عليهم إلا أنّه لم يستطع أن يدخلهم تحت سلطانه ، و في سنة 905هـ/1499م تحركت قواته لمواجهة أحد حكام إقليم مالي و اسمه عثمان و الذي استفتى فيه الأسكيا محمد الإمام السيوطي (ت 911هـ/1505م) .

¹ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 304 .

² د/ الهادي المبروك الدالي، مرجع سابق، ص 105 .

³ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 306 .

⁴ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 185 .

⁵ د/ ماهر عطية شعبان، جامعة سنكري (في تمبكتو) و دورها الحضاري و الثقافي في القرن 16م (1492-

1590م)، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، عدد 24، 2002م، ص 5 .

و في سنة 906هـ/1500م توجهت قوات السنغاي نحو الجنوب الشرقي حيث منطقة "أيورو" و التي اعتصم بها سني بارو و قومه فانحصرت عليهم تلك القوات و سيطرت على مكان تواجدهم ، و في الفترة 912-918هـ/1506-1512م استطاع جيش السنغاي أن يضم كل بلاد مالي القديمة لأملاكه ، ثم توجه شرقا ليضم عددا من مدن بلاد الهوسا سنة 919هـ/1513م¹ .

و على الرغم من هذا الجهد الشامخ الذي شيده الأسكيا محمد إلا أن نهايته كانت بإقصائه من الحكم على يد ابنه الأكبر موسى الذي استغل عيد الأضحى و الأمير في المصلى ، فحلف أن لا يصلي أحد حتى يتولى الأمر ، فسلم له والده و صلى الناس صلاة العيد² . و بدأ الأسكيا موسى عهده (934-937هـ/1528-1531م) بالصراع مع إخوته ، و استمر في الحكم حتى اغتيل ، و خلفه الأسكيا محمد الثاني (937-943هـ/1531-1537م) حيث بايعه سكان مدينة منصور في إقليم جني بعد مقتل موسى مباشرة ، و استطاع أن يقضي على الصعاب خلال عهده ، و قد توفي هو الآخر مقتولا على يد أخيه إسماعيل الذي حكم لمدة عامين (943-945هـ/1537-1539م) و اشتهر بشجاعته ، و قد قاد حملة ضد الوثنيين في الجنوب الغربي للملكة ، و انتشر في عهده الطاعون الذي فتك بأعداد كبيرة ، و قد توفي في قتاله الوثنيين³ .

ثم تسلّم الحكم الأسكيا إسحاق الأول بمساندة من الجيش (946-956هـ/1539-1549م) ، و شهد هذا العهد بداية تدخل السعديين حكام المغرب الأقصى في بلاد السودان الغربي ، و خلفه الأسكيا داود (956-990هـ/1549-1582م) الذي حكم البلاد بحكمة ، و امتاز عهده بكثرة المعارك مع القبائل الوثنية المحيطة ببلادده ، ثم انتقل الحكم إلى الأسكيا محمد الثالث (990-995هـ/1582-1586م) و واجه الكثير من المشاكل الداخلية لاسيما الصراع على الحكم ، و في هذا العهد جهّز سلطان المغرب الملقب بالذهبي حملة عسكرية وصلت إلى مناجم الملح في تغازة و احتلتها⁴ .

¹ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 208 .

² عبد الرحمان السعدي، مصدر سابق، ص 81 .

³ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 309 .

⁴ د/ بشّار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 211 .

و كانت هذه الحملة سببا في تنحية الأسكيا محمد الثالث و تنصيب أخيه محمد باني (995-997هـ/1586-1588م) و الذي اشتغل بتصفية إخوته الذين شكّ في ولائهم له ، و بعد وفاته تسلم الحكم أخوه الأسكيا إسحاق الثاني (997-1000هـ/1588-1591م) و الذي شهد عهده نهاية حكم الأساكي لدولة السنغاي حينما ثار عليه أحد رجال الدولة و يدعى "ساليكي تونكارا" بمساعدة حاكم ولاية "بالاما" و بدعم من شعب تنبكتو¹ .

و مثلت الرسالة التي أرسلها السلطان أحمد منصور السعدي إلى الأسكيا إسحاق الثاني النهاية الحتمية للدولة و التي طالبه فيها بالإعتراف بسلطان المغرب على السودان الغربي و تسليم مفاتيح تغازة ، إلا أنّ الأسكيا إسحاق الثاني رفض ، فجهّز السلطان المغربي حملة بقيادة جودر باشا و بعد معارك دخلت القوات المغربية مدينة غاو سنة 1002هـ/1593م بعد أن وصلت تعزيزات من المغرب بقيادة ابن زرقون الذي أصبح قائدا للحملة بدل جودر ، و حاول الأسكيا نوح مقاومة المغاربة إلا أنّ الحملات المتتالية التي كان يرسلها المغاربة أرغمته على ترك البلاد ، الأمر الذي أكّد نهاية دولة السنغاي تحت حكم الأساكي سنة 1004هـ/1591م² .

3- الجوانب الحضارية لمملكة السنغاي :

أ - التنظيم السياسي و الإداري : يقوم النظام الملكي في غاو بما له من تقليد قدم في الحكم على أساس القيم الإسلامية و التقليدية و ذلك في عهد الأسكيا ، و قد اعتنق ملوك غاو الإسلام منذ القرن 11م ، و كان عليهم من حيث المبدأ أن يحكموا طبقا لتعاليم الإسلام ، و كان الأسكيا محمد الأول و الأسكيا داود يرتكزان على الإسلام في حين كان سني علي و أغلبية الأساكي الآخرين يغلب عليهم الطابع السنغي أكثر من الطابع الإسلامي ، و كان أكبر الإخوة يتولى الحكم بعد موت الملك ، و الواقع أنّ معيار القوة هو الذي كان يحدد خليفة الملك ، و تتشكل الحكومة من وزراء و مستشارين يعينهم و يقبلهم الأسكيا ، و كانت هناك الحكومة المركزية التي توجد حيث يوجد الأسكيا و حكومة الأقاليم³ .

¹ نفسه، ص ص 211-212 .

² نفسه، ص 212 .

³ سينيكي مودي سيسوكو، مرجع سابق، ص ص 208 - 209 .

و نجد البعض يطلق على هذه المملكة خلافة على غرار الخلافة الإسلامية في تلك الفترة خاصة بعد ذهاب الأسكيا محمد لأداء فريضة الحج سنة 899هـ/1494م ، و يذكر الناصري أنّ الأسكيا محمد جرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده و ملبسه و سائر أمورهِ¹ .

و فيما يتعلق بالتنظيم الإداري فقد قُسمت الإمبراطورية إلى إقليمين كبيرين ، إقليم كورمينا في الغرب و إقليم دندي في الجنوب الشرقي ، و يطلق على متولي الإقليم لقب فاري ، و في أغلب الأحيان تسند هذه الوظيفة لولي العهد ، و كان فاري كورمينا يقيم في تندرما و يعتبر الشخصية الثانية في الدولة ، و عند نهاية القرن 16م فرضت السلطة العسكرية لفاري كورمينا نفسها على سائر أقاليم الغرب و أصبح حاكم كورمينا الزعيم الحقيقي ، أمّا فاري دندي أو حاكم إقليم دندي فكان يشرف على مقاطعات دندي أي على الجنوب الشرقي من المملكة ، و كان بمثابة الشخصية الثالثة في الدولة ، و هناك أقاليم أخرى ذات أهمية ثانوية كان يتولى شؤونها حكام يعينهم الأسكيا² .

و أمّا الجيش فقد تطور بما يناسب اتساع المملكة و تقدمها ، و يتشكل من الخيالة و فرقة الفرسان ، و تتكون أسلحتهم من الدروع الحديدية بالإضافة إلى الرماح و التروس و هي من صنع محلي ، و هناك فرقة المشاة التي تشكل قسما كبيرا من الجيش ، و منهم الفدائيون و كتائب الإستطلاع و أسلحتهم الحراب و السهام و الفؤوس الحادة أحيانا ، و هناك الحرس الملكي الموجود بصفة دائمة في جيش سنغاي ، و أهم عمل يقوم به هو حراسة الملك و الحاشية و الضرب على الطبول و النفخ في الأبواق أثناء مسيرة الجيش³ .

و كان القضاء حقا من حقوق السلطان ، و كان الأسكيا يُفوض في هذا الحق ممثلين له مستقلين تمام الإستقلال عن السلطة المركزية أو عن موظفيها ، و كان هناك قضاءان ، القضاء الإسلامي و يخضع له المسلمون ، و للقاضي حكمه القاطع و رأيه الأعلى و يعين مدى الحياة ، أمّا القضاء العرفي فكان يختص بالجزء الأكبر من المملكة بل حتى في المدن الإسلامية الكبيرة ، فكان الناس يسوّون خلافاتهم داخل نطاق الأسرة أو على يد رئيس المجموعة العرفية حسب تقاليد كل منهم⁴ .

¹ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ج5، ص 102 .

² سينيكي مودي سيسوكو، مرجع سابق، ص 210 .

³ د/ عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 318 .

⁴ سينيكي مودي سيسوكو، مرجع سابق، ص 213 – 214 .

ب الحياة الاقتصادية : تمكنت سنغاي بفضل موقعها الجغرافي من السيطرة على الطرق التجارية ، إذ تقع على نهر النيجر الذي يخترقها من الغرب إلى الشرق ، و من أهم موارد المملكة الأساسية الزراعة ، و من المزروعات الحبوب و الأرز كما توفرت الفواكه و الخضر و منها البطيخ و القرع و القطن و قصب السكر و الكروم و التين ، كما اعتنوا بتربية الحيوانات فاستفادوا منها الصوف و الجلود ، و كانت الأبقار و الماعز تربي في الأطراف الساحلية ، و كانت هذه المواشي تشكل موردا هاما للألبان و اللحوم خاصة سكان المدن ، كما مارسوا صيد الأسماك بكثرة¹ .

و كانت المدن الواقعة على حدود السودان و الساحل مثل ولاتة و تمبكتو و جني و غاو كلها مراكز تجارة عبر الصحراء على صلة بالأسواق الكبيرة في الصحراء و شمال إفريقيا و من تمّ ببلدان أوروبا المطلة على البحر المتوسط ، و كانت هناك طرق تخترق الصحراء انطلاقا من وادي النيجر متجهة نحو الشمال ، و أهمّ هذه الطرق :

- طريق تمبكتو-تغازة-توات المتجه إلى تافيلالت و المغرب .

- طريق تيشيت-ودانة في اتجاه درعة و تافيلالت .

- طريق غاو-تادمكة-غات المتجه نحو ليبيا و مصر .

- طريق غاو-تادمكة-غدامس المتجه نحو ساحل ليبيا و تونس .

- طريق غاو-هاوسا-كام-برنو المتجه نحو وادي النيل² .

و كانت المعاملات التجارية تتم بطريق المقايضة أو ذهبا أو ملحاً أو نحاسا حسب الأسواق ، و كانت أهم الصادرات الذهب و العبيد و العاج و التوابل و القطنيات ، و أهم الواردات فكانت الأسلحة و الخيول و النحاس و المصنوعات الزجاجية ، و كان الملح هو عصب التجارة المحرّك ، و قد ساعدت المبادلات التجارية على إثراء المدن و توفير قدر من الرخاء في الريف³ .

ج - الحياة الاجتماعية و الدينية : كان المجتمع في سنغاي سواء في المدينة أو القرية يتميز بأهمية الروابط الأسرية ، و كانت الأسرة هي العنصر الأساسي لهذا المجتمع الذي ورث العديد من العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في مملكة مالي ، و كان المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات ، الأولى طبقة العائلة المالكة و هم النبلاء و القواد و ولاة الأقاليم و حاشية الملك ، و اختصت هذه الطبقة

¹ د/عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 320 .

² سينيكى مودي سيسوكو، مرجع سابق، ص 214 .

³ نفسه، ص 215 .

بالوظائف الكبرى و عددها قليل ، و الطبقة الثانية هي الطبقة المتوسطة و تضم القضاة و الأئمة و المدرسين و التجار ، و الطبقة الثالثة فهي طبقة العبيد و الخدم و يقومون بالأعمال في الأسواق و المنازل و الحقول¹.

و لقد شجعت مملكة سنغاي لاسيما في عهد الأسكيا محمد العلم و العلماء حيث أخذ بيدهم و أحاط نفسه بهم ، و أصبحت هذه السياسة الإسلامية سياسة مقررة لخلفائه من بعده ، فالأسكيا إسحاق يسير في نفس الطريق من تشجيع العلماء و إكرامهم و الأخذ بيدهم ، و الأسكيا داود يتخذ خزائن الكتب و له نسخ ينسخون كتبه ، و قيل إنّه كان حافظا للقرآن ، و هذا يدل على أنّ دولة سنغاي قد شهدت تمكن الإسلام من أهل غرب إفريقيا ، كما شهدت إزدهار الثقافة الإسلامية إلى أبعد الحدود².

و بالإضافة إلى ما تقدّم لم يكن الإسلام هو الدين السائد في القرنين 15م و 16م إذ كانت أغلبية جماعات السنغاي و القوميات الأخرى التي تعيش في الريف باقية على تمسكها بما ورثت عن الآباء من معتقدات ، و كان البعض يعبد الجن و يعمل على كسب رضاهم ، و كان السحرة المطببون يحضون باحترام الجماهير و توقيرها ، و كانوا يدعون حماية المجتمع من الأرواح الشريرة ، و كان رئيس كل عشيرة يقدّم الفروض الدينية للموتى ، و هكذا كان الدين التقليدي راسخا في قلوب أهل الريف³.

و كانت المدن مراكز فكرية و ساعد الفائض التجاري على نمو طبقة من المتعلمين عكفوا على خدمة الدين ، و اجتذب الرخاء العام إلى مدن سنغاي علماء قدموا من شتى الأقاليم ، و كانت أشهر جامعة هي جامعة سنكري بتمبكتو التي كانت عبارة عن منتدى يجتمع فيه العلماء و التجار لمناقشة أمور دينهم ، و قد فاقت شهرة هذه الجامعة شهرة جامع القرويين في فاس و الزيتونة في تونس ، و أصبحت جامعة سنكري ملتقى العلم و العلماء و تشع منها الثقافة الإسلامية غي غرب إفريقيا⁴.

¹ د/عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 323 .

² الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 189 .

³ سينيكى مودي سيسوكو، مرجع سابق، ص 219 .

⁴ د/ماهر عطية شعبان، مرجع سابق، ص 9 .

المحور الثالث : ممالك السودان الأوسط .

المحاضرة رقم 6 :

أولا : دولة الكانم - برنو .

1 - عصر سيادة الكانم .

المحاضرة رقم 7 :

2 - عصر سيادة البرنو .

المحاضرة رقم 8 :

ثانيا : ممالك الهوسا .

المحور الثالث : ممالك السودان الأوسط .

يمتد إقليم السودان الأوسط حول بحيرة التشاد ، و يصل في شرقه إلى حدود دارفور و في غربه إلى النيجر ، و يمتد جنوبا إلى مناطق من إفريقيا الوسطى و من نيجيريا¹ ، و قد قامت في هذا الإقليم العديد من الكيانات السياسية على غرار منطقة السودان الغربي و من أهمها دولة الكانم -برنو و ممالك الهوسا .

أولا : دولة الكانم- بُرنو (479-1262هـ/1086-1846م) .

قامت هذه الدولة في بلاد السودان الأوسط و كانت بحيرة التشاد هي مهدها ممّا جعلها مركزا هاما لإلتقاء طرق القوافل المارة إلى جميع أنحاء القارة ، و أدّى هذا الأمر إلى ازدهار تجارتها و إلى قيام دولة بها منذ القرن 4هـ/9م² ، و ينقسم تاريخ هذه الدولة إلى عشرين عصر سيادة الكانم ثمّ عصر سيادة برنو .

1 - عصر سيادة الكانم : تعتبر عناصر الكامبو و هي خليط من القبائل الزنجية و البربرية أول من عمل على إنشاء دولة في إقليم كانم الذي يقع إلى الشرق و الشمال الشرقي من بحيرة التشاد³ ، و قيل إنّ الفضل في تأسيس هذه الدولة يعود إلى الملوك الأوائل من الزغاوة التي يعتقد أنّها ترجع في أصولها الأولى إلى فريق من بربر المغرب و لاسيما الملك داجو (Dago) الذي أرخ لحكمه بمحدود سنة 183هـ/800م ، و كان يدّعي أنّه من نسل القائد العربي سيف بن ذي يزن ، و يسود الإعتقاد أنّ قبائل الزغاوة كانت تجول الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى قبل أن تهاجر في القرن الثاني الهجري إلى بحيرة التشاد و تستقر هناك⁴ .

و قد ضمت هذه الدولة عددا كبيرا من القبائل و العناصر ، فهناك قبائل الصوصو و قبائل الكامبو المشار إليها آنفا ، و تضم أيضا قبائل الكانوري التي تتكون من خليط من العرب و البربر و الزنوج ، و هؤلاء الكانوري يُكوّنون أغلب سكان هذه المملكة ، يضاف إلى ذلك قبائل الثبو من البربر ، و كذلك بربر الطوارق و قبائل العرب الذين كانوا يعرفون باسم " الشوا " و الذين قدموا إلى

¹ د/جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص 40 .

² الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 191 .

³ د/جلال يحيى، مرجع سابق، ص 41 .

⁴ د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 164 .

التشاد من وادي النيل و من شمال القارة الإفريقية عبر الصحراء ، و قد أذى اختلاط هؤلاء العرب بالوطنيين إلى ظهور عناصر جديدة مثل التنجور و البولالا و السالمان و غيرهم¹.

قامت سلطة الكانم في القرن التاسع الميلادي على يد أسرة بربرية بيضاء هي الأسرة الماغومية السيفية التي ادّعت النسب العربي و قالت إنّها تنحدر من سيف بن ذي يزن ، و استطاعت هذه الأسرة السيطرة على حوض بحيرة التشاد و اتخذت مدينة جيمي عاصمة لها ، و بدأ الإسلام يطرق أبواب هذه المملكة منذ قيامها و خاصة من الشمال و الشرق على يد التجار و المهاجرين الذين توافدوا عليها في القرنين 9م و 10م ، و تحكي المصادر عن قيام داعية إسلامي كبير يسمى الفقيه محمد بن ماني (القرن 11م) بنشر الإسلام في المنطقة ، و قد عاصر خمسة من ملوك الكانم الذين كانوا يعرفون باسم المايات (جمع ماي و معناه الملك) ، أولهم الماي بولو الذي كان يحكم حوالي 410هـ/1020م و آخرهم الماي أوم بن عبد الجليل (478-489هـ/1086-1097م) ، و هو الذي جعل الإسلام الدين الرسمي للدولة و عمل على نشره في بلاده ، ثمّ اتجه لأداء فريضة الحج ، و لكنّ المنية وافته أثناء عودته من مصر فدفن بها ، و منذ عهد هذا الحاكم لم يتولّى حكم دولة الكانم أي ملك وثني².

و بلغت دولة الكانم درجة كبيرة من القوة و الإتساع في عهد الماي دونمة بن أوم (489-546هـ/1097-1151م) الذي خلف والده في الحكم ، و تابع خلفاؤه من بعده العمل على توسيع حدود هذه الدولة حتى صارت إمبراطورية كبيرة و خاصة في عهد الماي دونمة بن سالما بن بكر (618-657هـ/1221-1259م) و الذي يُعرف أيضا باسم دونمة دباليمي نسبة إلى والدته دبال ، و قد أخضع هذا الماي القبائل المتمردة مثل البولالا الذين كانوا يعيشون في حوض بحيرة فتري الصغيرة الواقعة شرق بحيرة التشاد ، و أقام علاقات مع الحفصيين في تونس ، و اتسعت الإمبراطورية في هذا العهد حتى وصلت شرقا إلى مشارف النيل و غربا إلى نهر النيجر و امتدت شمالا حتى وصلت قرب فزان الليبية³.

و يعد الماي دونمة دباليمي واحدا من الحكام الذين قضوا على جذور الوثنية في المنطقة من خلال قيامه بتحطيم الموني المقدس الذي كان يقُدّسه الناس قبل إسلامهم معتقدين أنّه لا يجوز فتحه أو تحطيمه لأنّه يجلب النصر و الحظ لحكام البلاد و رعيتهم ، و هذا التحطيم أثار غضب قبائل

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 191 .

² نفسه، ج2، ص 193 .

³ نفسه، ج2، ص 194 .

البولالا لما يمثله الموني من قدسية لديهم ، و ظل الصراع قائما بين الطرفين و وصل مرحلة خطيرة خاصة في عهد زعيم تلك القبائل المدعو عبد الجليل سيوكوما (767-814هـ/1365-1411م) و الذي عاصر تسعة من سلاطين الكانم ، و الأمر الذي يميّز قبائل البولالا عن قبائل الصوصو هو أنّ البولالا قد دخلت في الإسلام و هي تقاتل القبائل الوثنية جنبا إل جنب مع بقية المسلمين ، إلا أنّ عداءهم لدولة الكانم لم ينته و رغبتهم في السيطرة على طرق التجارة كان كبيرا¹ ، و قد تمكن عبد الجليل هذا من قتل أربع مايات بمساعدة القبائل العربية التي كانت تقيم في فترة و كانم و التي كان سلطان البولالا يُمثُّ إليها بصلة النسب و القرى².

و نتيجة الضغط المستمر من قبائل البولالا على دولة الكانم و رغبتهم في طرد الماغوميين من عاصمتهم جيمي فقد اجتمع السلطان الكانمي الماي عمر بن إدريس (788-794هـ/1386-1391م) بعلماء بلاده و المقربين منه و استشارهم في مسألة العاصمة و العبور نحو إقليم برنو فأشاروا عليه بذلك لبدأ عهد مملكة برنو ، و قد تسرّب الضعف إلى مملكة الكانم نتيجة عوامل كثيرة ، منها الخلافات و الإنقسامات التي ظهرت بين أبناء الأسرة الحاكمة ، و منها ظهور خطر قبائل الصوصو التي كانت تقيم في إقليم برنو و قيامها بمهاجمة عاصمة الدولة ، و كذلك اشتداد خطر البولالا بعد أن تمكنوا من إقامة سلطنة صغيرة لهم في حوض بحيرة فترى³.

¹ د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص ص 174-175 .

² الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 195 .

³ نفسه، ج2، ص 194 .

2 - عصر سيادة برنو : باستئناف الماي عمر بن إدريس الحكم من إقليم برنو بدأ ما يعرف بعصر سيادة برنو و الذي امتد حتى نهاية الدولة سنة 1262هـ/1846م ، و قد ترك طرد الماغوميين السيفيين إلى برنو فراغا سياسيا في كانم ملأه البولالا الذين أقاموا سلطنة كبيرة ضمت هذا الإقليم بالإضافة إلى إقليم بحيرة فترى و المناطق المحيطة بها في حوض بحيرة التشاد¹ .

و استمر الصراع بين البولالا و الماغوميين في مقرهم الجديد مدينة "بيرني نجازر جامو" التي اتخذوها عاصمة لهم ، و قد تمكن المايات في برنو من استرداد قواهم منذ النصف الثاني من القرن 15م و وصلت أوجها أثناء القرن 16م² ، و قد تبادل الطرفان المتصارعان النصر و الهزيمة و خاصة في عهد الماي إدريس بن عائشة (908-932هـ/1502-1526م) الذي أنزل بأعدائه هزيمة ساحقة و استولى على العاصمة جيمي و أقام بها فترة ثم عاد إلى بيرني ، و تابع ابنه الماي علي بن إدريس (952-953هـ/1545-1546م) محاربة البولالا حتى لقب بحارق البولالا ، و لم يلبث أن لقي حتفه في إحدى معاركه ضدهم ، و لم يقض على خطرهم إلا الماي إدريس ألوما (978-1011هـ/1570-1603م) الذي أقام علاقة ود و صداقة و مصاهرة معهم ، فأعاد نفوذ أسرته إلى إقليم كانم ، و وصلت الإمبراطورية في عهده إلى أقصى اتساعها و قوتها و ازدهارها³ .

و قد أقام الماي إدريس ألوما دولته الجديدة على أساس القوة الحربية ، و أدى الإصلاح الذي أدخله على الجيش إلى بلوغه مكانة لا تبلغها مكانة أي جيش آخر في بلاد السودان ، و استقدم فصيلة من حملة البنادق الأتراك تولت تدريب حرسه المكون من الرقيق على استعمال الأسلحة النارية ، و بفضل هذه الترتيبات أصبح جيش برنو فريدا في إفريقيا الزنجية ، ثم أحدث تغييرا شاملا في نظام النقل في الجيش بإحلال الإبل و الجياد محل البغال و الثيران ، كما طوّر الملاحة البحرية فحلت القوارب الكبيرة محل الأشجار المجوفة ، و بذلك اكتسب جيشه قدرة على الحركة كان يفتقر إليها .

و قد خلف الماي إدريس ألوما مايات ضعاف بلغو خمسة عشر سلطانا على مدى قرنين من الزمن ، و أصيبت البلاد بعدد من المجاعات ، كما ظهر خطر القبائل الوثنية في منطقة جومبي تسمى قبائل كوارارافا و قد تمكنت من اجتياح الأقاليم الغربية في برنو و قتلت أحد المايات سنة 1026هـ/1618م ، كما حدثت حروب أخرى بين برنو و جيرانها من إمارات الهوسا و خاصة إمارة كانو في النصف الأول من القرن 18م ، غير أن أهم خطر تعرضت له مملكة البرنو هو خطر

¹ نفسه، ج2، ص 195 .

² د/ جلال يحيى، مرجع سابق، ص 44 .

³ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 196 .

الفولانيين ، و هم قبائل بيضاء انحدرت من الشمال و استقرت في إمارات الهوسا ، و قامت بقيادة عثمان بن فودي بحركة ضخمة لنشر الإسلام بين الوثنيين في هذه الإمارات ، و تمكنت أخيرا من ضمها في دولة واحدة تحت زعامة هذا القائد الذي أعلن قيام دولة الفولاني في بداية القرن 19م¹ .

و عندما لاحظت القبائل الفولانية التي كانت تعيش في مملكة برنو وجود تحالف سرّي بين تلك المملكة و ممالك هايب الوثنية التي تحارب دولة صوكتو أو سكوتو العثمانية الإسلامية (نسبة إلى عثمان بن فودي) قامت بتدبير ثورة داخلية نجحت في دخول عاصمة برنو عام 1223هـ/1808م ، و فرّ الماي أحمد بن علي (1206-1223هـ/1791-1808م) و لجأ إلى المناطق الحدودية الشرقية الشمالية و استنجد بالقبائل الكانمية بزعامة ملكها محمد الأمين الذي تمكن من استرجاع عاصمة برنو ، و بذلك يكون محمد الأمين الكانمي هو مؤسس دولة برنو الحديثة و أول من تقلّد لقب "شيهو برنو" أي زعيم أو شيخ أهل برنو و توفي هذا السلطان سنة 1250هـ/1835م و خلفه ابنه عمر الأمين² .

و بعد عمر تولى ابنه أبو بكر (1296-1300هـ/1880-1884م) و بعده تولى أخوه إبراهيم مدة عام ليخلفه الشيخ هاشم (1301-1310هـ/1885-1893م) ، و في عهده دبّ الضعف في برنو ، و في نهاية القرن 19م هاجم برنو زعيم سوداني يدعى رابح الزبير نسبة إلى الزبير باشا الذي كان تاجرا و اشتد نفوذه فنال مكانة سياسية هامة ، ففتح منطقة دارفور باسم الحكومة المصرية و كان رابح قائدا عنده ، و عندما غدر غوردن باشا حاكم السودان إبان عهد الخديوي إسماعيل بالزبير قرّر رابح الانتقام فدخل كانم و قضى على سلطة برنو عام سنة 1310هـ/1893م و أصبح حاكم هذه المنطقة ، و في سنة 1317هـ/1900م قتل رابح في معركة مع الفرنسيين ، و دخلت فرنسا المنطقة مع بريطانيا ، فتنازمت الدولتان أراضي برنو التي لم يعد فيها أي سلطة إسلامية ، و من الدول التي قامت على أنقاض إمبراطورية برنو كل من التشاد و جمهورية إفريقيا الوسطى و النيجر و نيجيريا و الكامرون³ .

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 197 .

² عثمان برايم باربي، جذور الحضارة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة، ص 113 .

³ سعيد إبراهيم كريدية و محمد فاضل علي باربي، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م، ص ص 139-140 .

ثانيا : ممالك الهوسا .

تشمل بلاد الهوسا ما يعرف الآن بنيجرىا الشمالية و جزء من جمهورية النيجر ، و كانت تقع في العصور الوسطى في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي و سنغاي غربا ، و تحدها من الشمال بلاد أهير و الصحراء الكبرى و من الجنوب ما يعرف الآن بنيجرىا الجنوبية و من الشرق مملكة برنو ، و الهوسا أو الحوصا اصطلاح لغوي يطلق على الذين يتكلمون لغة الهوسا ، و لذلك فليس هناك جنس يمكن أن يتسم بهذا الاسم إذ أنّ الهوسيين لا ينحدرون من دم واحد بل جاء أغلبيتهم نتيجة امتزاج حدث بين جماعات قبلية و عرقية كثيرة أهمها السودانيون أهل البلاد الأصليين و الطوارق من البربر و الفولانيون و بعض العرب المهاجرين ، و نتج عن هذا الإمتزاج هذا الشعب الذي أصبح يتكلم لغة واحدة هي لغة الهوسا التي انتشرت في إفريقيا الغربية حتى أصبحت لغة الناس و المعاملات التجارية و المالية¹.

تقول الأساطير إنّ ممالك الهوسا كانت أربع عشرة مملكة قامت عن طريق غزوة من برنو قادها شخص يدعى بايزيد ، و كان بايزيد هذا من رقيق سلاطين برنو ، و على أية حال فإنّ الأساطير تذكر أنّ بايزيد قدم من برنو بصحبة ابنة السلطان و إحدى المحظيات ، و عندما وصل إلى بلاد الهوسا ذبح الجني الذي يقوم على حراسة الماء و حرّر البلاد ، و قد خلفه أبناؤه السبعة و كونوا الممالك السبع التي شكلت النواة الأولى لبلاد الهوسا ، و إلى جوار هذه الممالك السبع كانت توجد سبع ممالك أخرى سكانها ليسوا جميعا من الهوسا و تعرف بأشقاء الهوسا².

و هناك رواية أسطورية أخرى حول نشأة ممالك الهوسا تقول بأنّه في أوائل القرن 11م كانت تحكم مدينة دورا " daura " العظيمة ملكة جاءت بعد تسعة حكام سبقوها ، و قد تعرضت البلاد للخراب بسبب وحش هائل كان يمنع الناس من السعي وراء رزقهم حتى جاء أحد الرجال البيض مع من جاؤوا من جهة الشرق أو الشمال و هو ابن ملك بغداد فتمكن من القضاء على ذلك الوحش و تزوج من الملكة و أنجب منها سبعة أبناء أنشأوا فيما بعد السبع مقاطعات الأولى لمملكة الهوسا³.

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 203 .

² ك. مادهو بانيكار، مرجع سابق، ص 200 .

³ دنيس بولم، مرجع سابق، ص 53 .

و هذه الإمارات هي :

- بيرام " Biram " .
- دورا " Daura " .
- غوبر " Gobir " .
- زاريا " Zaria " .
- رانو " Rano " .
- كاتسينا " Katsina " .
- كانو " Kano " ¹ .

و تذكر الأسطورة أيضا أنّ هذا الزعيم تزوج امرأة أخرى و أنجب منها سبعة أبناء أيضا
و استطاع هؤلاء الأبناء أن يشيدوا سبع ولايات أخرى إلى الجنوب و هي كبّ و نوب و جوارى
و يوري و كوارافا و إورين و زنفرة² .

و ظلت ممالك الهوسا تعيش في داخل دويلات صغيرة يتصارع كل منها مع الأخرى ، فكانت
السيطرة في الغرب لكل من مالي و السنغاي ، بينما كانت السيطرة في الشرق للبرنو ، و رغم ذلك
فإنّ بلاد الهوسا كانت تتعرض للهجمات التي يشنها عليها شعوب مثل الكوارارافا³ .

و يرى بعض الباحثين أنّ بعض الولايات كانت لها ميزة مختلفة عن الأخرى ، فأقواها كانت
ولاية غوبر التي كان اسمها يطلق على بلاد الهوسا في كثير من الأحيان ، و في المقابل كانت ولايتا
بيرام و دورا صغيريتن مسالمتين لعدم تعرضهما لهجوم من جيرانها ، أمّا كانو و كاتسينا فكانت
تتمتعان بأهمية صناعية و تجارية غير موجودة في ولايات أخرى⁴ .

و في بعض المراجع نجد ولاية زمفرة بدل ولاية بيرام السالفة الذكر ، و يرى البعض أنّ دورا
هي أقدم هذه الإمارات و أنّ دماء أهلها وافدة من مصر العليا و الحبشة و بلاد العرب ، و كانت

¹ سعيد إبراهيم كريدية و محمد فاضل باري، مرجع سابق، ص 146 .

² نفسه، ص 147 .

³ فيج . جي . دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة : د/ السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م، ص 77 .

⁴ سعيد إبراهيم كريدية و محمد فاضل باري، مرجع سابق، ص 147 .

كاتسينا تتوسط الإمارات و زاريا أوسعها أرضا و كانوا أغناها و جوبر أجذبها و تقع في شمالها¹.

كانت ممالك الهوسا أشبه بالمدن الدولة في إيطاليا خلال عصر النهضة ، فهدفها الرئيسي هو الرخاء التجاري و الحروب لا تعدو كونها وسيلة لمنع ظهور أي قوة منافسة ، و في ذلك قامت كاتسينا و كانوا بدور هام ، فأسوار المدن وفرت الحماية لأصحاب الحرف و مكنت الزراع من مواصلة حياتهم العادية ، ذلك أنّ الحياة خارج الأسوار كانت تحفها الأخطار دائما².

و كان شعب الهوسا من أكثر الرحالة و التجار مغامرة ، فقد كانت مدغم تحتل موقعا جغرافيا ممتازا عند الطرف الجنوبي لأحد أهم طرق القوافل التجارية الصحراوية العظيمة الذي يصل شمالي إفريقيا بوسطها و غربها ، و ما إن انهارت مملكة السنغاي أمام الغزو المراكشي في نهاية القرن 16م تحول الجرى الرئيسي للحركة التجارية مع شمالي إفريقيا شرقا إلى بلاد الهوسا ، و قفزت إمارة كاتسينا بصفة خاصة إلى مكان الصدارة و الشهرة ، و سرعان ما أصبح التجار الهوسيون يسيطرون على النشاط التجاري في جميع أنحاء إفريقيا الوسطى ، و تضخمت جاليتهم في كل المراكز التجارية المهمة بل و أصبحت لغة الهوسا لغة التخاطب العامة في الأسواق³.

و قد دخل الإسلام بلاد الهوسا و رغم وقوعها بين إمبراطوريتين إسلاميتين كبيرتين قديمتين في الإسلام ، إذ أسلمت كل منهما في القرن 11م و هما إمبراطورية البرنو شرقا و إمبراطورية مالي ثم السنغاي غربا ، إلا أنّ إمارات الهوسا لم تتحول للإسلام في نفس الفترة و لا في وقت واحد بل تأخر إسلامها بعض الوقت ، و كان بعض أهلها لا زالوا على الوثنية حتى بداية القرن 19م ، و عندما دخلها الإسلام كانت إمارة كانوا من أسبقها دخولا في هذا الدين⁴.

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 203 .

² ك. مادهو بانيكار، مرجع سابق، ص 210 .

³ سعيد إبراهيم كريدية و محمد فاضل علي باري، مرجع سابق، ص 148 .

⁴ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 205 .

المحور الرابع : ممالك السودان الشرقي .

المحاضرة رقم 9 :

ممالك النوبة .

المحاضرة رقم 10 :

مملكة الفونج .

المحاضرة رقم 11 :

مملكة دارفور .

المحاضرة رقم 12 :

مملكة الحبشة .

المحور الرابع : ممالك السودان الشرقي .

تشمل بلاد السودان الشرقي الحوض الأعلى لنهر النيل أو ما يقع جنوب مصر ، و تمتد على الجهة الشرقية من إفريقيا ، و قد ظهرت في هذه المنطقة العديد من الممالك التي لها تاريخ ضارب في القدم .

أولا : ممالك النوبة .

يطلق لفظ النوبة على أجزاء وادي النيل الممتدة على جانبي نهر النيل الأعظم بين مدينتي أسوان و الخرطوم الحالية ، و قد قسّم الجغرافيون إقليم النوبة إلى ثلاثة أقسام هي ، وادي النوبة العليا و وادي النوبة الوسطى و وادي النوبة السفلى .

أما وادي النوبة العليا فيمتد من منطقة التقاء النيلين الأبيض و الأزرق إلى دنقلة ، و قامت في هذه المنطقة دولة كوش و كانت عاصمتها نباتا ثم مروى ، أما وادي النوبة الوسطى فيمتد من دنقلة إلى حلفا ، و يمتد وادي النوبة السفلى بين وادي حلفا و أسوان ، و قامت في هاتين المنطقتين النوبة السفلى و الوسطى مملكة النوبة الشمالية و أطلق عليها اسم مقرة و عاصمتها دنقلة¹ .

و جاء في النقوش المصرية القديمة ذكر كلمة نوب " Nubu " و معناها الذهب أي بلاد الذهب ، و هذا أحد الأسماء التي أطلقها المصريون القدماء على هذه البلاد² ، أما اليونانيون فأطلقوا على هذه الأقاليم كلها اسم إثيوبيا ، و ورد ذكر الإثيوبيين في أشعار هوميروس و نوه بمكانتهم عند الآلهة اليونانية³ .

و كان العرب قبل الإسلام يطلقون اسم الكوشيين على سكان بلاد النوبة نسبة إلى كوش بن نوح⁴ ، و كانت النوبة جزءا من بلاد كوش التي امتدت من الشلال الأول جنوبا إلى جهات النيل الأزرق و كردفان ، و يُرجَّح ظهور هذه الدولة في القرن 8 ق.م على يد سلالة من كهنة أمون الذين هجروا طيبة نحو منتصف القرن 10 ق.م على إثر تولية شاشانق الأول الليبي حكم مصر ، و أنشأت هذه السلالة الكهنوتية دولة جعلت عاصمتها نباتا (400 كلم شمال الخرطوم) استقلت

¹ د/مصطفى محمد سعد، الإسلام و النوبة في العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م، ص 17 و ما بعدها .

² نفسه، ص 22 .

³ نفسه، ص 23 .

⁴ د/ بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 79 .

عن مصر ، و قد قام ملوك هذه الأسرة بضم مصر و أسسوا الأسرة الخامسة و امتد حكمهم من سنة 715 ق.م إلى سنة 662 ق.م ، و انتهت على يد الآشوريين الذين احتلوا مصر¹ .
ثم فقدت نباتا عاصمة كوش أهميتها منذ بداية القرن 6 ق.م و انتقل مركز الحكم و الإدارة إلى مروى ، فقامت ببلاد النوبة مملكة مروى ، و يطلق البعض على هذه المملكة الدور المروي من تاريخ مملكة كوش و الذي امتد من 300 ق.م إلى 250 ق.م ، و عاصر هذا الدور حكم البطلمة ثم الرومان في مصر² ، و استمرت المملكة حتى سقوطها في القرن 4م في يد مهاجمين قادمين من الممالك النصرانية في الحبشة³ .

و بعد هذا انتشرت المسيحية في بلاد النوبة ، و عرفت المنطقة ثلاث ممالك نصرانية هي من الشمال إلى الجنوب :

- مملكة نوباديا "Nobadia" و عاصمتها فرس (حوالي 500 كم جنوب أسوان) .
 - مملكة المُقرّة "Makuria" و عاصمتها دنقلة (حوالي 400 كم شمال الخرطوم)⁴ .
- و قام اتحاد بين هاتين المملكتين عرف بمملكة النوبة ، و صاحب ذلك نشوء حكومة مركزية قوية عاصمتها دنقلة⁵

- مملكة علوة في الجنوب و عاصمتها سوبا (جنوب الخرطوم على النيل الأزرق)⁶ .

و بعد استقرار المسلمين في مصر قرروا تأمين حدودها الجنوبية ، فجهزوا حملة بقيادة عبد الله بن أبي سرح سنة 21هـ/641م للهجوم على النوبة و عاصمتها دنقلة إلا أنّها فشلت ، و كان لشراسة النوبيين و تمكنهم من الرمي بالسهام للحد الذي سُمّوا فيه برماة الحدق لتصويبهم السهام في حدقة العيون دور في انسحاب المسلمين ، و عاود المسلمون بقيادة عبد الله بن أبي سرح الهجوم مرة ثانية سنة 31هـ/651م ، و جهز جيشه هذه المرة بالمنجنيق ليضرب به حصون أهل النوبة و من تم دفعهم للإستسلام ، و فعلا فقد عرضوا عليه الصلح و عقدوا معاهدة معه أطلق عليها معاهدة البقط

¹ د/مصطفى محمد سعد، مرجع سابق، ص ص 37-38 .

² نفسه، ص 38 .

³ د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 79 .

⁴ ك.ميكالوفسكي، انتشار المسيحية في النوبة (تاريخ إفريقيا العام)، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج2، ص 332 .

⁵ س.ياكو بيلسكي، النوبة المسيحية في أوج ازدهارها (تاريخ إفريقيا العام)، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج2، ص 223 .

⁶ ك.ميكالوفسكي، مرجع سابق، ص 332 .

و التي استمر الإلتزام بها لستة قرون كاملة ، و من بين بنودها إعطاء النوبيين عهد الأمان و السماح لهم بدخول مصر مجتازين غير مقيمين ، و أن يدفع النوبيون 360 رأسا من الرقيق كل عام شريطة أن لا يكون بينهم طفلا أو شيخا هرما مقابل الحصول على المواد الغذائية من مصر¹.

و كان لقيام دولة المماليك في مصر سنة 648هـ/1250م دور كبير في القضاء على المملكة النصرانية في النوبة ، حيث قادوا حملة عسكرية كان على رأسها الظاهر بيبرس سنة 675هـ/1276م أنهت على إثرها الكيان السياسي المستقل للنوبة و وضعت حاكما نوبيا اسمه شكندة تابعها لها ، و كان للإنقسات السياسية داخل بلاد النوبة دور كبير في زوال المملكة على نحو نهائي سنة 722هـ/1322م ليتسلم الحكم فيها عرب مسلمون من بني ربيعة من خلال حكم دولة الكنوز الإسلامية².

و يعتبر أبو المكارم هبة الله هو المؤسس الحقيقي لإمارة ربيعة الكبرى في أسوان و بلاد النوبة ، و ضمت الإمارة في عهده صعيد مصر الجنوبي و جزءا كبيرا من بلاد النوبة الشمالية التي تعرف باسم مريس ، و قد خلع عليه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة 397هـ/1006م لقب كنز الدولة ، و صارت منذ ذلك التاريخ تعرف هذه الإمارة باسم إمارة الكنوز أو بني كنز³ ، و كانت العلاقة بين أمراء بني كنز و الدول المتعاقبة على مصر تتميز بالسلم و الحرب و التبعية و الإستقلال ، و جاءت الضربة القاضية لهذه الإمارة على يد الأتراك العثمانيين بعد فتحهم مصر سنة 922هـ/1517م ، ثم واجه الأتراك مملكة الفونج التي سيطرت على النوبة الجنوبية ، و عقد الطرفان معاهدة صلح سنة 925هـ/1520م جعلت مدينة حنك حدا فاصلا بين النوبة العثمانية و النوبة الفونجية ، و لم يعد لدولة الكنز أي وجود يمكن أن يؤرخ له منذ ذلك التاريخ ، و إن كان وجودهم كقبائل و مشيخات صغيرة ظل مستمرا حتى تم فتح هذه البلاد على يد إسماعيل بن محمد علي سنة 1236هـ/1820م ، هذا الفتح الذي أزال معظم الكيانات السياسية التي كانت قائمة ، و من ثم ظهر السودان بشكله السياسي الذي نراه اليوم⁴.

¹ د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص ص 80-81 .

² نفسه، ص 83 .

³ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 228 .

⁴ نفسه، ص 238 .

ثانيا : مملكة الفونج (910-1504هـ / 1236-1820م) .

اختلف الباحثون في أصل الفونج ، فقبل إنهم من سلالة عربية هربت من العباسيين و أنهم جاؤوا إلى الحبشة أولا و منها إلى السودان الشرقي حيث تصاهروا مع ملوك السودان ، و ظهرت نواة إمارة الفونج بعد نهاية القرن 13م عقب القضاء على مملكة دنقلة المسيحية ، و اتسع نطاق هذه الإمارة غربا و وصل إلى أطراف الجزيرة¹ ، و أصبحت المنطقة الواقعة ما بين النيلين الأبيض و الأزرق وصولا إلى الحبشة تابعة لمملكة الفونج بزعامة عمارة دونقس في القرن 9هـ/15م ، و قد بلغ هذا الرجل من الرفعة و الغنى الحد الذي جعله يقدم الذهب و الرقيق هدية لكل قادم إلى بلاده² . و في هذا العهد تم التحالف بين عمارة دونقس و بين عرب القواسمة بقيادة عبد الله جماع ، و قد مكّن هذا التحالف من القضاء على مملكة علوة المسيحية سنة 910هـ/1505م و قيام مملكة العبدلاب التي اتخذت مدينة قرى عاصمة لها ، ثم انتقلت إلى حلفاية و شاركت الفونج السيطرة على القسم الشمالي من البلاد³ .

حكم سلطنة الفونج حوالي خمسا و عشرين سلطانا مدة مائتين و ثمانية و خمسين عاما (910-1236هـ/1505-1821م) ، و تبدأ المرحلة الأولى بعمارة دونقس المؤسس (910-940هـ/1505-1534م) و تستمر حتى 1012هـ/1604م عندما تولى السلطان عبد القادر أونسة السلطان التاسع ، و تعتبر هذه الفترة فترة التأسيس و الإستقرار ، أمّا المرحلة الثانية تغطي معظم القرن السابع عشر الميلادي ، و تبدأ بعهد السلطان عبد القادر أونسة سنة 1012هـ/1604م و تستمر حتى تولي السلطان بادي الثالث (الأحمر) سنة 1103هـ/1692م ، و تتميز هذه المرحلة بالإحتكاك الحدودي مع الحبشة في عهد السلطان رباط بن بادي الأول ، و يمكن اعتبار هذه المرحلة مرحلة استقرار نسبي و قدرة السلطنة على صد الأخطار الخارجية ، أمّا المرحلة الثالثة فتبدأ بتولي بادي الثالث (1103-1127هـ/1692-1716م) و تنتهي بخلع السلطان الثامن عشر بادي أبو شلوخ سنة 1175هـ/1762م ، و تميزت بدخول البعثات التبشيرية و الدبلوماسية الأوربية أراضي سنار و هي في طريقها إلى الحبشة ، و أمّا على الصعيد الثقافي فقد استمر تدفق العلماء و المتصوفة و ازدهار المراكز الدينية الصوفية و الفقهية

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 240 .

² د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 82 .

³ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 240 .

في أراضي السلطنة ، و المرحلة الرابعة تمتد عبر العقود الأخيرة من تاريخها (1175-1236هـ/1762-1821م)¹ .

و قد ظهرت قبل ذلك عوامل الضعف في هذه السلطنة عندما تصدعت عرى التحالف بين سلاطين الفونج و عرب القواسمة الذين استقلوا عنهم سنة 1183هـ/1770م ، كما كان لاستبداد الوزراء و القواد أثره في القضاء على هذه الدولة ، فقد استطاع محمد بن أبي لكيك كتمور (ت 1189هـ/1776م) أن يعزل السلطان بادي الرابع و يولي غيره ، و بدأت الانقسامات الداخلية و الحروب الأهلية تزيد من انحلال السلطة الحاكمة حتى ابتلعهم الفتح المصري في النصف الأول من القرن 19م في عهد محمد علي² .

¹ سحر يحيى عبد الرضى، تأسيس مملكة الفونج الإسلامية ، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس، إشراف : د/أمل سليمان بادي، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، الخرطوم، 2012م، ص ص 13-14 .

² الموسوعة الإفريقية، ج2، ص ص 240-241 .

ثالثا : مملكة دارفور الإسلامية (849-1292هـ / 1445-1875م) .

قامت مملكة دارفور على الأطراف الغربية من السودان الشرقي و تختلف الروايات التاريخية التي تؤرخ لنشأة هذه المملكة ، و بلاد دارفور عبارة عن هضبة تنتشر فيها المراعي و تتخللها بعض المرتفعات مثل جبل مرة ، و يتألف سكانها من العنصر الزنجي و العنصر الحامي ، و كانت هذه البلاد مستقرا لشعب يسمى شعب الداجو وفد عليها من الشرق أو من جبال النوبة الواقعة غرب النيل الأبيض قبل القرن 12م و أسس فيه ملكا ، و في القرن 12م أيضا دخل هذه البلاد عنصر مغربي من تونس يتمثل في شعب التنجور أو عرب التنجور و خالطوا الداجو و صاهروهم ، و وثبوا إلى الحكم عن طرق المصاهرة لأنّ الداجو يجعلون للبنات حقا في الوراثة ، و نتج عن هذا الإختلاط جنس مختلط يسمى الفور¹.

و هناك روايات عديدة حول بداية عهد مملكة الفور ، و منها أنّ الملك كورو آخر ملوك الداجو و هو وثني اهتم بأمر أحمد أحد زعماء قبيلة التنجور العربية بعد أن عقره أخوه علي ، و عهد إليه بإدارة شؤون بلاده فأحسن الأداء فأحبه الملك و زوجه ابنته ، فلمّا دنت ساعته عيّن أحمد المعقور خليفة له و آل الأمر من بعده إلى عدد من أحفاده ، و من أشهر هؤلاء الأحفاد سليمان الذي أبجته أم عربية و تزوج من امرأة عربية فعرف بسولونق أي العربي ، و هناك رواية أخرى تروي أنّه في نحو سنة 850هـ/1446م قدم أحمد المعقور و هو عربي قرشي من سلالة الفضل بن العباس عم النبي صلى الله عليه و سلم ، و نجح أحمد بمعاونة بعض البدو في غزو دارفور و كردفان و نشر الإسلام فيهما².

و قد ازدهر عهد سليمان سولونق في المرحلة الممتدة من (1049-1070هـ / 1640-1660م) و اتخذ جبل مرة منطلقا له و استعان بعرب البادية المنتشرين في بلاده ، و يقال إنّ وحدّ الفور و هزم الشعوب التي كانت تسكن حول جبل مرة ثمّ طرد بقايا التنجور الذين كانوا يسعون لاسترداد ملكهم³.

و بدأت الدولة تتسع فامتد سلطانها إلى كردفان في عهد السلطان تيراب (1181-1201هـ / 1768-1787م) ، و بلغت الدولة في عهده أقصى اتساعها ، فكان حدّها من

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 243 .

² يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (1450-1821م)، سوادتك المحدودة، الخرطوم، الطبعة الرابعة، 2003م، ص 94 .

³ نفسه، ص ص 96-97 .

الشمال بئر التتزون فف الصءراء الكبرى و من الجنوب بحر الغزال و من الشرق نهر النيل و من الغرب منطقة واداي ، و قد اكتمل السلطان الفعلي فف عهد السلطان عبد الرحمان الرشفد (1201-1213هـ/1787-1799م) الذي نقل العاصمة إلى مءفنة تسمى الفاشر ، و اتصل بالسلطان العثماني و اعترف بسفادته فمنحه لقب الرشفد ، و قد امتد نفوذ سلطنة دارفور إلى مملكة واداي فف عهد محمد الفضل ففن هزم السلطان آدم و حملة أسفرا إلى الفاشر ، و كان من الممكن أن تتسع السلطنة إلى آفاق أوسع لولا التوسع المصري فف القرن 19م ، ذلك التوسع الذي قضى على هذه السلطنة سنة 1291هـ/1875م فف عهد عاهل مصر الخءفوي إسماعفل¹ .

¹ الموسوعة الإفرففة، ج2، ص ص 245-246 .

رابعاً : مملكة الحبشة .

تقع الحبشة في منطقة القرن الإفريقي شرق القارة ، و تعرف حالياً بإثيوبيا و هي لفظة يونانية معناها صاحب الوجه المحروق أو صاحب الوجه ذي اللون الأحمر القاتم أو الأحمر البني ، و سُميت البلاد نسبة إلى هؤلاء أي بلاد أصحاب الأوجه الحمراء البنية ، و قد ذكر كثير من الكتاب القدماء بلاد إثيوبيا منهم هوميروس و هيروdot و استرابون ، و كانوا يذكرونها بطريقة تدل على أنّ موقعها معروف لديهم ، و لكن لم يصف لنا أحد منهم حدودها¹ .

أمّا لفظ الحبشة فهي التسمية التي يطلقها العرب على هذه المنطقة الجغرافية ، و هي اسم قبيلة حبشت اليمينية ، و ربما كانت أكثر القبائل التي هاجرت إلى الحبشة أهمية ، حدث ذلك قبل الميلاد بعدة قرون و عرفت منذ ذلك الوقت في المشرق بهذا الاسم ، و يسمى الأحباش أرضهم إثيوبيا منذ اعتناقهم المسيحية في القرن 4م ، و يشعرون بامتعاض في تسميتهم بالأحباش و في تسمية أرضهم بالحبشة ، لأنّ إثيوبيا ترجمة يونانية للفظ كوش ، و كان لها سلطان و حضارة و ذكرها الكتاب المقدس² .

و تأسست في المنطقة مملكة أكسوم في الأجزاء الشمالية و الشرقية من إثيوبيا حوالي منتصف القرن الأول الميلادي ، و قد استطاعت أكسوم أن تصبح من أقوى دول العالم آنذاك و اتسعت حدودها حتى بلغت أقصاها في الثلث الأول من القرن السادس الميلادي ، فوصلت بحدودها إلى سهول الصومال جنوباً و مصر شمالاً و النيل النوبي غرباً و عبرت حدودها الشرقية البحر الأحمر ، فاحتلت جزءاً من جنوب الجزيرة العربية ، و قد قسم المؤرخون تاريخ مملكة أكسوم إلى فترتين :

- الفترة الأولى : تمتد من قيام أكسوم حتى دخول الديانة المسيحية المملكة .
- الفترة الثانية : تبدأ بتحول الملك عيزانا ملك أكسوم إلى المسيحية في القرن 4م حوالي سنة 320م و تمتد حتى انتهاء المملكة³ .

و يمكننا تتبع تاريخ أكسوم و مظاهر الحضارة في فترة مجدها فيما يلي :

1 - وصلت أكسوم إلى مكانة مرموقة عالمياً خلال القرن الثالث الميلادي .

¹ مراد كامل، الحبشة بين القديم و الحديث ، محاضرة ألقىت بدار الجمعية الجغرافية المصرية، 4مارس 1959م، دون تاريخ و مكان الطبع، ص 5 .

² نفسه، ص 9 .

³ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 55 .

2 - نجاح الملك عيزانا في القرن الرابع الميلادي في القضاء على القوى المعارضة لحكمه و اعتناقه المسيحية .

3 - في عهد الملك كالب آخر ملوك أكسوم العظام نشبت حروب بين أكسوم و الحميريين في جنوب الجزيرة العربية ، و قد تلقب كالب بلقب ملك أكسوم و حمير و سبأ و البلاد العليا و حضرموت و البجة و النوبة¹ .

و ذكر مؤرخو العرب خبر احتلال الحبشة (أكسوم) لليمن ، و خلاصتها أنّ أحد ملوك اليمن و اسمه " ذو نواس " كان يهوديا و كان يحمل الناس على اعتناق اليهودية و عمد إلى قتل النصارى ، و وضع لهم أخاديد في الأرض و ملأها نارا و ألقاهم فيها (قصة أصحاب الأخدود) ، و أفلت منهم رجل يدعى ذو ثعلبان حتى أتى قيصر الروم يستنصره على ذي نواس ، فأرسله إلى ملك الحبشة و كتب إليه يأمره بنصرته ، فأرسل ملك الحبشة معه جيشا بقيادة رجل اسمه أرباط فدخل اليمن و احتلها ، و تولى بعده أبرهة الأشرم و استقل بالأمر و حاول هدم الكعبة سنة 571م (عام الفيل) و هلك في عامه ذلك² .

و قد عرفت هذه المملكة في عهد أصمحة النجاشي هجرة المسلمين الأوائل إليها فأجارهم و منع البطارقة من التعرض لهم ، فثاروا عليه و كادوا يخلعونه ، فأقام المسلمون في جواره حتى بعث النبي صلى الله عليه و سلم في طلبهم فعادوا إلى المدينة سنة 8هـ/629م³ .

و بدأت مملكة أكسوم تضعف في القرن 1هـ/7م خاصة بعد قيام الدولة الإسلامية و فتوحاتها و سيطرتها على الطرق التجارية في البحر الأحمر و إبعاد البيزنطيين حلفاء الأحباش عن الشرق كله ، و بعد ذلك فإنّ الروايات التاريخية عن تاريخ الحبشة تكاد لا تفصل شيئا عن تاريخها حيث دخلت المملكة في صراعات مع جيرانها ، و ربما تكون تلك الأحداث قد ساعدت على وصول التجار المسلمين إلى الحبشة و بالتالي انتشار الإسلام لاسيما مع انهيار مملكة أكسوم نتيجة الهجمات التي كان يشنها البجة في السهول بين الهضبة و البحر و مهاجمة المدن الحبشية معطلين بذلك النشاط الإقتصادي ، فضلا عن هجرات اليهود منذ سنة 18هـ/640م و ثورات الوثنيين ، كل ذلك فتح المجال أمام المسلمين للوصول إلى الحبشة و الإنصهار مع السكان⁴ .

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص ص 56-57 .

² يوسف أحمد، الإسلام في الحبشة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة، 2012م، ص 12 و ما بعدها .

³ نفسه، ص 18 .

⁴ د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 92 .

و يبدو أنّ الإسلام قد نفذ إلى الداخل في وقت مبكر ربما في القرن الثالث الهجري حين وصل إلى منطقة "شوا" ، حيث قامت سلطنة إسلامية عملت على توطيد العقيدة الإسلامية في جنوب و شرق الحبشة ، و ظهرت هذه السلطنة على يد أسرة بني مخزوم العربية و استمرت في الوجود أربعة قرون من الزمان (283-684هـ/896-1285م) ، و تمتعت خلالها بالأمن و الاستقرار و كثرة المدن و النواحي¹.

و كانت مملكة أكسوم في أواخر أيامها عندما نشأت سلطنة شوا الإسلامية ، و لذلك لم تتمكن من التصدي لها أو تمنع قيامها في جزء من الهضبة الحبشية ذاتها ، و كذلك لبعدها عن أكسوم التي كانت تقع في أقصى الشمال في إقليم التيجري بينما سلطنة شوا كانت على بعد مسافة كبيرة منها ناحية الجنوب ، و رغم ذلك فإنّ المعلومات عن هذه السلطنة قليلة ، و أهمها تلك التي عثر عليها المستشرق الإيطالي شيرولي " E.Ceruli " سنة 1354هـ/1936م و التي تناولت تاريخ المملكة في نهاية حكمها (من سنة 629-688هـ/1231-1289م) ، تلك الفترة التي كانت مليئة بالإضطرابات و الصراعات الداخلية على السلطة فضلا عن دخولها في صراع مع الممالك الإسلامية المجاورة لها ، الأمر الذي أدّى إلى ضعفها و عدم مقدرتها على الصمود أمام مملكة عربية ناشئة هي مملكة أوفات التي تمكنت من الإستيلاء عليها سنة 684هـ/1285م².

و بالعودة إلى تاريخ الحبشة فقد استطاعت أسرة الأجويين أن تقضي على مملكة أكسوم الضعيفة سنة 329هـ/940م ، و كان أول ملوك هذه الأسرة امرأة يهودية أرادت أن تكترس الحكم لنفسها و لأهل عقيدتها أو لقبيلتها من الأحباش الذي كان معظمهم يدين بالوثنية ، فأمرت بهدم الكنائس و اضطهاد المسيحيين ، و كانت دولة الأجويين دولة إقطاعية حيث قام أمراء الأقاليم و النواحي بفرض سلطانهم على ما يقع تحت أيديهم من سكان و بلاد ، و عندما ضعفت الأسرة الأجووية قام النزاع و الحروب بين الأمراء الأحباش ، و قد أعطت هذه الظروف السياسية السيئة التي مرت بها دولة الحبشة في عصر الأجويين الذي امتدّ إلى سنة 668هـ/1270م الفرصة لسلطنة شوا أن تعيش في أمن و استقرار حوالي أربعة قرون من الزمن³.

¹ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص 252 .

² د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 93 .

³ الموسوعة الإفريقية، ج2، ص ص 256-257 .

و قد قامت في المنطقة التي تنحصر بين ساحل البحر الأحمر و خليج عدن و بين هضبة الحبشة مراكز تجارية عديدة على الساحل ، و انتشرت أيضا في الداخل و تحولت في النهاية إلى إمارات و ممالك إسلامية امتدت إلى هرر و بلاد أروسي جنوبا حتى منطقة البحيرات مطوقة الحبشة من الجنوب و الشرق ¹ ، و عند دخول القرن 8هـ/14م ازدهرت هذه الممالك و سُميت بممالك الطراز الإسلامي لأنها كانت كالطراز على سوحل الحبشة و هي كالتالي : أوفات ، هديا ، أرابيني ، دوارو ، شرحا ، بالي ، دارة ، و كانت هذه الممالك كلها ذات مساجد و جوامع تقام فيها الجمعة و الجماعة².

و في هذه الأثناء انحصرت الحبشة في الهضبة المرتفعة ما بين شوا و أمهرة و تيجري ، و كان نفوذ ممالك الطراز يمتد إلى شمالي الحبشة ، فقام رجل يسمى "يكونة أملاك" و أسس دولة حبشية و هي دولة الأسرة السليمانية ، و أخذ يشن الغارات على المسلمين في الجنوب و الجنوب الشرقي ، و دامت هذه الحروب نحو ثلاث قرون ، و بلغت أشدها في القرن 10هـ/16م حين تولى النجاشي لينا دنقل "Denghel" و ابنه كلاوديوس "Kalawdewos" من بعده ، حيث عانى المسلمون في أيامهم شدة عظيمة و ضعفت دولتهم التي جعلوا عاصمتها هرر سنة 926هـ/1520م و كادت تنهار لولا قيام أحمد بن إبراهيم الذي جمع كلمة المسلمين و تولى أمرهم و لقبوه بالإمام و الغازي و صاحب الفتح و سمّاه الأحباش جرائي أي الأعسر ، و كان قد حمل على الحبشة حملات شديدة بمؤازرة الأتراك الذين كانت جدّة و اليمن في قبضتهم³ ، و ألحق بملك الحبشة لينا دنجل هزائم متتالية فتوفي شريدا مطاردا من جيوش المسلمين سنة 947هـ/1540م ليخلفه ابنه كلاوديوس الذي استعان بالبرتغاليين و في المقابل استعان الإمام أحمد بالعثمانيين ، و انتصر المسلمون و أسروا القائد البرتغالي كريستوفر داجاما و أعدموه ، و اعتقد أحمد بن إبراهيم أنّ النصر النهائي قد تحقّق فعاد العثمانيون من حيث أتوا و عاد هو إلى مدينة هرر ، و شرّق ملك الحبشة هجوما كبير على المدينة سنة 949هـ/1543م و استشهد خلاله أحمد بن إبراهيم و أصبحت الممالك الإسلامية تابعة للحبشة ، و أعاد المسلمون الكثرة و هجموا على الأحباش و انتصروا عليهم و قتلوا ملكهم كلاوديوس سنة 967هـ/1559م ، إلا أنّ هذا النصر لم يعد للمالك الإسلامية قوتها التي كانت عليها أيام الإمام أحمد ، و دخلت البلاد في نزاعات قبلية و صراعات على السلطة ، فضلا عن ذلك فإنّ الحبشة في

¹ نفسه، ج2، ص 262 .

² يوسف أحمد، مرجع سابق، ص 23 .

³ نفسه، ص 30 .

تلك المرحلة كانت تعاني بكل مكوناتها من الإضطهاد البرتغالي ، فبعد انتهاء مهمة القضاء على الجهاد الإسلامي بدأ البرتغاليون بإرسال المبشرين إلى الحبشة و الذين لم يقتصر عملهم على المسلمين بل حتى على النصارى بغرض تحويلهم إلى المذهب الكاثوليكي¹ .

¹ د/بشار أكرم جميل الملاح، مرجع سابق، ص 113 .

المحور الخامس : انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب
الصحراء .

المحاضرة رقم 13 : عوامل انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب
الصحراء .

أولا : العوامل الذاتية .

ثانيا : التجارة .

ثالثا : المعلمون و الدعاة المحليون .

رابعا : الهجرة .

خامسا : الطرق الصوفية .

المحور الخامس : عوامل انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء .

يعتبر موضوع انتشار الإسلام في إفريقيا من أهم الموضوعات التي يتناولها الباحثون في تاريخ هذه القارة ، و ذلك للنتائج المترتبة عنها سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، و قد أثار هذا الموضوع جدلا كبيرا بين المؤرخين ، و قد تحامل عدد كبير منهم لاسيما المستشرقين و اعتبروا أنّ انتشار الإسلام كان بجد السيف ، و على النقيض فإنّ أغلب المؤرخين المسلمين يرون أنّ الإسلام في إفريقيا قد انتشر نتيجة عوامل عديدة أغلبها بعيدة عن السيف و القوة ، و سنعرض بإيجاز أهم هذه العوامل التي أسهمت في نشر الإسلام في القارة الإفريقية .

أولا : العوامل الذاتية :

هي تلك العوامل التي ترتبط بالإسلام كدين و عقيدة و منهج و سلوك ، فالدين الإسلامي في جوهره يحمل الكثير من الخصائص و السمات المتميزة التي تتعلق بحياة الإنسان و تخاطب مباشرة عقله و وجدانه ، كما أنّها تتعلق بسلوكه و حياته اليومية ، و لقد دعا الإسلام إلى تقويض الأوضاع و الأفكار الفاسدة مبتدئا بالوثنية و ما يتبعها من ضلالات الشرك و حارب العصبية و القبيلية التي كانت دائما تحول دون توحيد الناس و اجتماع شملهم ، و كانت تؤدي إلى إثارة الضغائن و استمرار الأحقاد و الحروب¹ .

و هناك قضية أخرى على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لإفريقيا جنوب الصحراء عانت و لا تزال تعاني من تأثيراتها عليها و هي تجارة الرقيق ، و قد عالج الإسلام هذه الظاهرة و حدّ من انتشارها ، فليس هناك في القرآن و لا في السنة و لا في سلوكيات الصحابة ما يأمر بالاسترقاق ، فهناك مئات النصوص تدعو إلى العتق ، و لما كانت مسألة الرّق شديدة التعقيد في هذه الفترة فقد تدرّج الإسلام في حلّها ، فأبطل ما كان متعارفا عليه من أسباب تبيح استرقاق الإنسان و سلب حرّيته ، و نستطيع أن ندرك كيف أنّ الإسلام لم يفرّق بين العبيد و غيرهم بل رفع شأنهم و اعتمد عليهم من أجل تحريرهم² .

و من العوامل الذاتية الهامة التي تميز بها الإسلام معالجته للجوانب الاقتصادية المتعلقة بحياة الفرد و الجماعة ، فقد فرض الزكاة و جعلها ركنا من أركان الإسلام ، كما منع التداول بالربا و أمر بإيفاء

¹ د/عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 94 و ما بعدها .

² نفسه، ص 99 .

الحقوق و الديون و استيفاء المكاييل و الموازين و عدم الغش في البيع و الشراء ، كما دعا الإسلام إلى الطهارة و النظافة و حسن المظهر و الهندام ، و الخلاصة أنّ الإسلام اشتمل على العديد من الخصائص الذاتية التي تتعلق به كدين ، و هي المرتكز الأول في حركة انتشاره و المحور الأساسي في إقناع الآخرين به كدين سماوي خاتم لكافة الأديان¹ .

ثانيا : التجارة .

لقد كان التاجر المسلم محرّكا أساسيا لعملية نشر الإسلام في القارة الإفريقية خاصة في منطقة السودان الغربي و حمل الناس هناك على الدخول في الإسلام ، و ذلك بسبب تصوّفه الحسن و أمانته و محافظته على أمور دينه و عقيدته ، و لعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إنّ الإسلام انتشر في كل مكان وصل إليه التجار المسلمون ، ذلك أنّ التاجر المسلم كان داعية إلى دينه إمّا بطريقة مباشرة أو بغير مباشرة و ذلك نتيجة اختلاطه و تعامله مع التجار غير المسلمين فيجذبهم إلى الإسلام بتعامله الحسن و خلقه الكريم و صدقه في التعامل و حسن مظهره .

لقد انتشر الإسلام في أرجاء القارة الإفريقية عن طريق التجارة و استطاع المسلمون أن يصلوا إلى مناطق واسعة في هذه القارة و كوّنوا لهم مراكز تجارية في هذه المناطق و اختلطوا بالسكان المحليين و امتزجوا بهم ، و لقد كان لغنى القارة و انتاجها لسلع كثيرة و خاصة الذهب أثر على اجتذاب التجار المسلمين الذين لعبوا دور الوساطة لترويج هذه البضائع ، فأقيمت الطرق التي تصل العالم بمناطق القارة ، ففي السودان تدفقت جموع التجار المسلمين عبر المسالك الصحراوية من المراكز الشمالية كطرابلس و فزان و تاهرت و سجلماسة و فاس إلى تمبكتو و أدغسشت و غانة و غيرها من المدن ، و نتيجة لهذا الإرتباط التجاري فقد استقر عدد من التجار المسلمين في المدن السودانية و كوّنوا أحياء خاصة بهم و أقاموا فيها المساجد و المدارس ممّا كان له عظيم الأثر في نشر التعاليم الإسلامية² .

و في شرق إفريقيا كان التجار اليمينيون كثيرون التردد على هذه المنطقة ، و كانوا ينتشرون في بلاد الصومال و الحبشة يتاجرون و يدعون إلى الدين الحنيف ، إلا أنّ الفضل الأكبر في نشر الإسلام

¹ د/عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص ص 99-100 .

² د/ مصطفى بن شقرون، دور التجار المسلمين في نشر الإسلام بغرب إفريقيا في العصر الوسيط ، أعمال ندوة التواصل الثقافي و الإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء (15-17 محرم 1428هـ/12-14 ماي 1998م)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1999م، ص 61 .

في الحبشة يعود إلى طائفة من التجار المسلمين نشأت في مدينة قומר المصرية تتألف من مهاجرين من أهل التكرور و بعض الهنود و العرب ، و قد أخذت لنفسها اسم الكارمية أو الكانمية نسبة إلى بلاد كانم حول بحيرة التشاد ، و كانوا على قدر كبير من الورع و التقوى ، و جعلوا من أنفسهم دعاة للإسلام إلى جانب اشتغالهم بالتجارة ، و ممّا ساعد على نجاح هؤلاء أنّ الحبشة في القرن 17م انقسمت إلى إمارات ضعيفة ، و كانت الطبقات الفقيرة المثقلة بالضرائب أكثر الناس تحولا للإسلام ، و قد أسلم على يد الكارمية كثير من قبائل الحملا و الصومال ، و دخل الإسلام الصومال و كينيا و تنجانيقا بفضل جهود و نشاط التجار العمانيين ، و عن طريق التجار العرب دخل الإسلام أوغندا في النصف الأول من القرن 19م ، و كان للتجار فضل كبير في نشر الإسلام في بلاد الهوسا حيث تمتد رحلاتهم من ساحل غانا إلى القاهرة ، و بلغ من أثرهم أن صارت لغتهم اللغة التجارية لأهل السودان ، و بانتشار لغة الهوسا اتسعت دائرة الدعوة للإسلام¹ .

ثالثا : المعلمون و الدعاة المحليون .

يتمثل دورهم في إكمال عمل التجار حيث قاموا بتدعيم عملية التحول إلى الإسلام ، فكلما تطور المجتمع الإسلامي احتاج الأمر إلى وجود معلمين و علماء لتعليم الأفراد الدين الجديد ، بل إنّ بعض العلماء الدين من الأفارقة أسهم إسهاما كبيرا في إثراء الحضارة العربية الإسلامية ليس على مستوى إفريقيا وحدها و لكن في البلاد الإسلامية الأخرى² ، و من هؤلاء العلماء مثلا علماء سلطنة كانم الإسلامية و منهم الشيخ عمر بن عثمان الذي رحل إلى مصر و التحق بالأزهر الشريف ثمّ سافر إلى مكة و المدينة ، و بعد أن تضرّع في العلوم عاد إلى كانم بعد عشر سنوات ، و الشيخ عبد الرحمان السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان ، و محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش³ .

و كان الدعاة يتفرغون للدعوة و التعليم ، فكانوا يجمعون حولهم عددا من الأطفال و الشباب و سرعان ما يظهر امتيازهم عن رفاقهم الذين لم ينخرطوا في سلك التعليم ، و هذا ما ساعد على

¹ د/عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص ص 102-103 .

² د/حورية توفيق مجاهد، تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد و الوسائل ، مجلة قراءات إفريقية، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 6، شوال 1431هـ/سبتمبر 2010م، ص 23 .

³ د/عبد الرحمان عمر الماحي، مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية و الحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي، أعمال ندوة التواصل الثقافي و الاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء (15-17 محرم 1428هـ/12-14 ماي 1998م)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1999م، ص 75 .

جذب أعداد أخرى جديدة كل يوم للانضمام إلى الحلقة ، و الداعي المسلم يستطيع أن يمدّ القبائل الزنجية غير المتحضرة بكثير من الحقائق المتعلقة بالله و بالإنسان ، و إذا استطاع المعلم الداعي إقناع شيخ القبيلة فإنّ القبيلة كلها تتبع شيخها في دخول الإسلام ، و إقناع هذا الشيخ لم يكن عسيرا لأنّ الإسلام يحافظ له على مركزه و مكانته و يمنحه حقوقا مقابل التزامات ليس من الصعب الوفاء بها ، و لقد تعاون التاجر و الداعي تعاوننا ملحوظا و بذلا معا جهدا مضنيا في سبيل نشر الإسلام ، فكثيرا ما كان التاجر يدفع من ماله الخاص ليهيأ للمعلم مكانا يلتقي فيه بالناس و يزوّده في نفس الوقت بما يحتاجه من نفقات شخصية ، و مقابل هذا يعطي المعلم و الداعي من جهده و فكره ما يهدي الناس و يحقق الغاية و هي نشر الإسلام¹.

رابعا : الهجرة .

لقد لعبت الهجرة الإسلامية إلى دواخل إفريقيا دورا كبيرا و هاما في نشر الإسلام في هذه المناطق ، و قد أذن النبي صلى الله عليه و سلم للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة و عاش المسلمون الأوائل فيها مدة من الزمن ، فالهجرة إلى الحبشة و العلاقات التجارية التي كانت قائمة قبل الإسلام استمرت بعده ، و حمل المهاجرون و التجار الجدد إسلامهم معهم ، و من تم أخذ الإسلام يظهر و ينتشر ، و في ظل الفتن السياسية التي عصفت بالمسلمين في القرن الأول الهجري فإنّ الكثير من أهل الحجاز و اليمن قصد ساحل شرق إفريقيا و توغلوا في المناطق الداخلية منها ، و في منتصف القرن الرابع الهجري وصلت هجرة أخرى أكبر من سابقتها و استقرت جنوب مقديشو ، و يعود سببها للهجوم الذي قام به المغول و دخولهم شيراز ممّا اضطر حاكمها إلى الخروج على رأس ألف و مائتي رجل ركبوا البحر نحو ساحل الزنج ، و تمكنوا من فرض سيطرتهم على الساحل و أسسوا مملكة الزنج التي أخضعت لسلطانها الكثير من المراكز و الجزر ، و في جنوب إفريقيا انتشر الإسلام عن طريق جماعات مهاجرة من أهل الملايو و أندونيسيا و سيلان و شبه القارة الهندية ، و استطاع هؤلاء المهاجرين تأسيس مجموعة من الوكالات التجارية في ساحل شرق إفريقيا مثل مقديشو و موزنيق ، كما حدثت هجرات في فترات متأخرة من جزيرة سومطرة و الخليج الفارسي منتصف القرن 13 م².

¹ د/عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص 106 .

² نفسه، ص 123 .

خامسا : الطرق الصوفية .

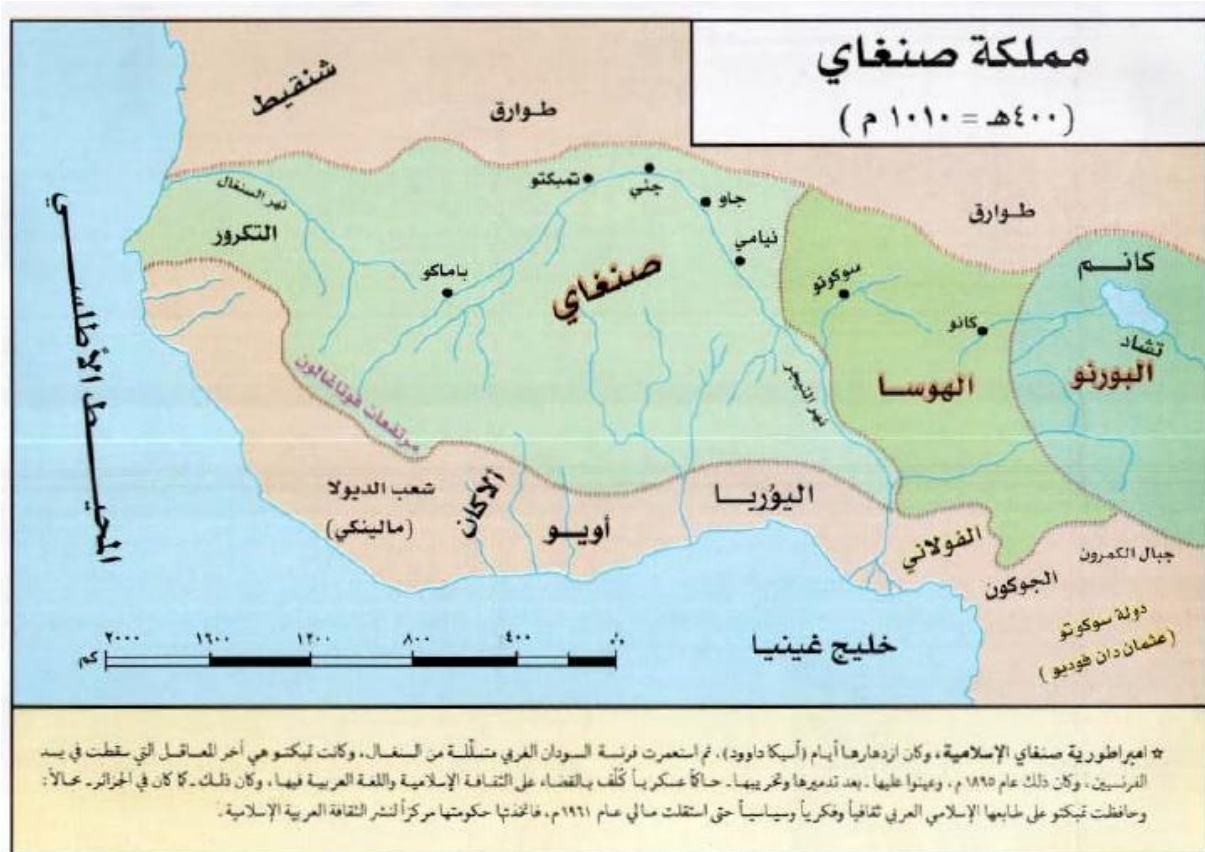
تنتشر الطرق الصوفية في أنحاء القارة و هي أوسع انتشارا و أكثر تأثيرا في إفريقيا جنوب الصحراء عنها في الشمال ، و إن كان من الملاحظ أنّ نشاطها في نشر الدعوة قد بدأ متأخرا و لم يتبلور إلا في القرن 19م ، و من أهم الطرق الصوفية الموجودة في إفريقيا القادرية و السنوسية و التيجانية ، و يجذب الإفريقي بشدة للطرق الصوفية ، فالإلتفاف حول الشيخ و الإشتراك في حلقات الذكر أو ما يسمى بالحضرة يملاً الفراغ الروحي عند الإفريقي و يحتل جزءا من وقت فراغهم و خصوصا في المساء حيث الإنشاد الديني و الحركات الإيقاعية التي تستهوي الإفريقيين الذين تعودوا على التعبير بالرقص في أوجه حياتهم كافة بما فيها الدينية ، و أهم إنجازات الطرق الصوفية هو أنّ التحول للإسلام انتقل على أيديها من حالات فردية إلى حالات جماعية ، و هو ما يمثل خطوة في تدعيم الإسلام في نفوس الأفارقة¹.

و يجد المتتبع لما كتبه العلماء الأفارقة بالذات من تراجم لفقهاءهم و لرجال العلم ضربوا من الإيمان بخوارق العادات لدى هؤلاء العلماء ، و بالإيمان بالتحليلات التي يلصقونها بأئتك الفقهاء و العلماء لدرجة أن يصبح لكل واحد منهم صفتة و نصيبه الخاص به من المعجزات التي تؤهله إلى إيمان الناس بعلمه و بكونه من أولياء الله المعترف لهم باصطفاء الإله لهم و تمكينه لهم كي يصبحوا من الأولياء الصالحين بحيث يتبرك الناس بهم عن جدارة و استحقاق ، و لكن أتباع الطرق الصوفية بالغوا في اعتبار قبور هؤلاء الأولياء مزارات للتبرك و الشفاعة و طلب العون كالمساعدة على الإنجاب أو على الشفاء من الأمراض إلى غير ذلك ، و هذا ممّا لا ينسجم و مفهوم الإسلام الخالي كما هو معروف من البدع و الخرافات².

¹ د/حورية توفيق مجاهد، مرجع سابق، ص 22 .

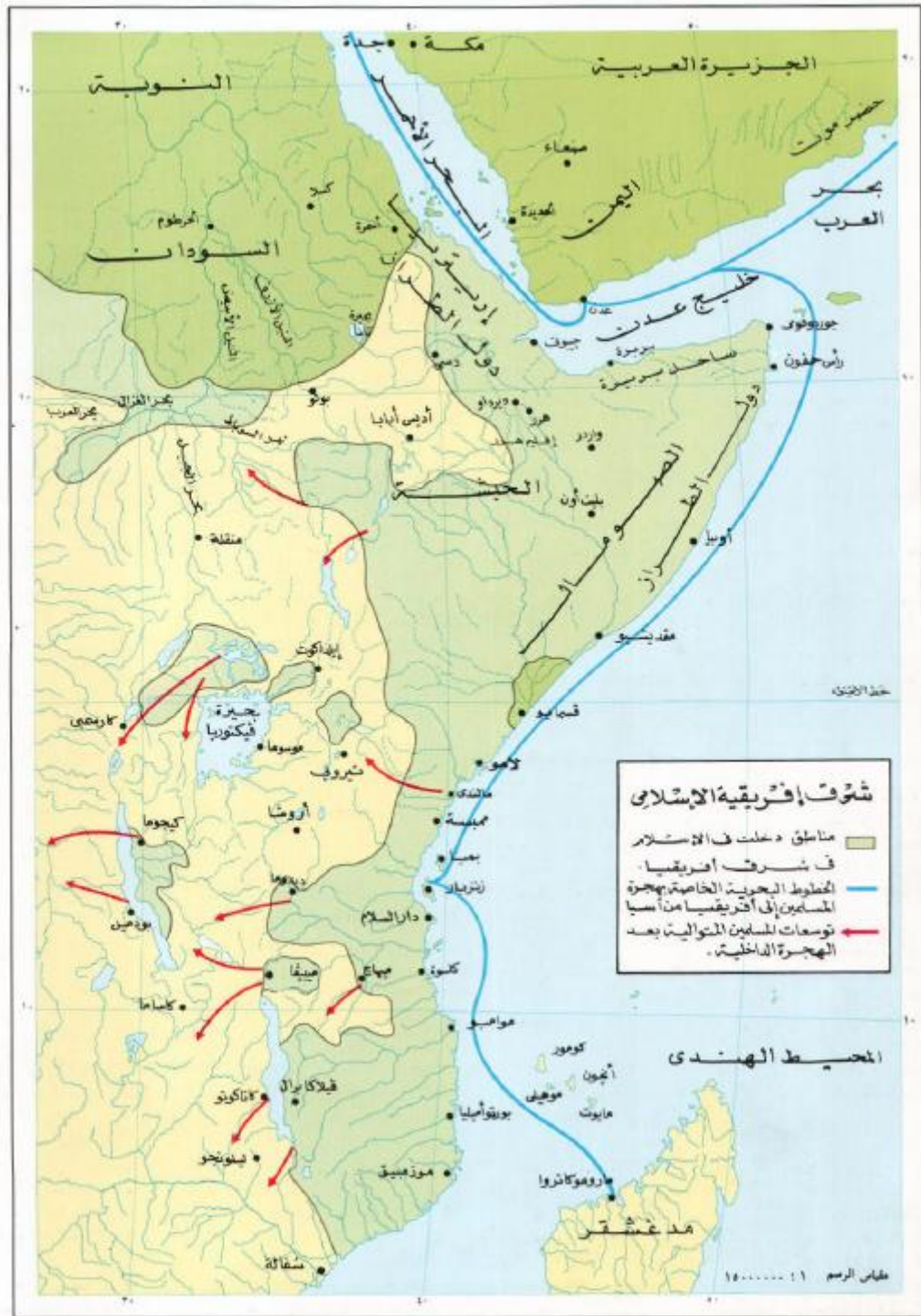
² عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 225-226 .

ملحق رقم 3 : خريطة مملكة الصنغاي¹ .



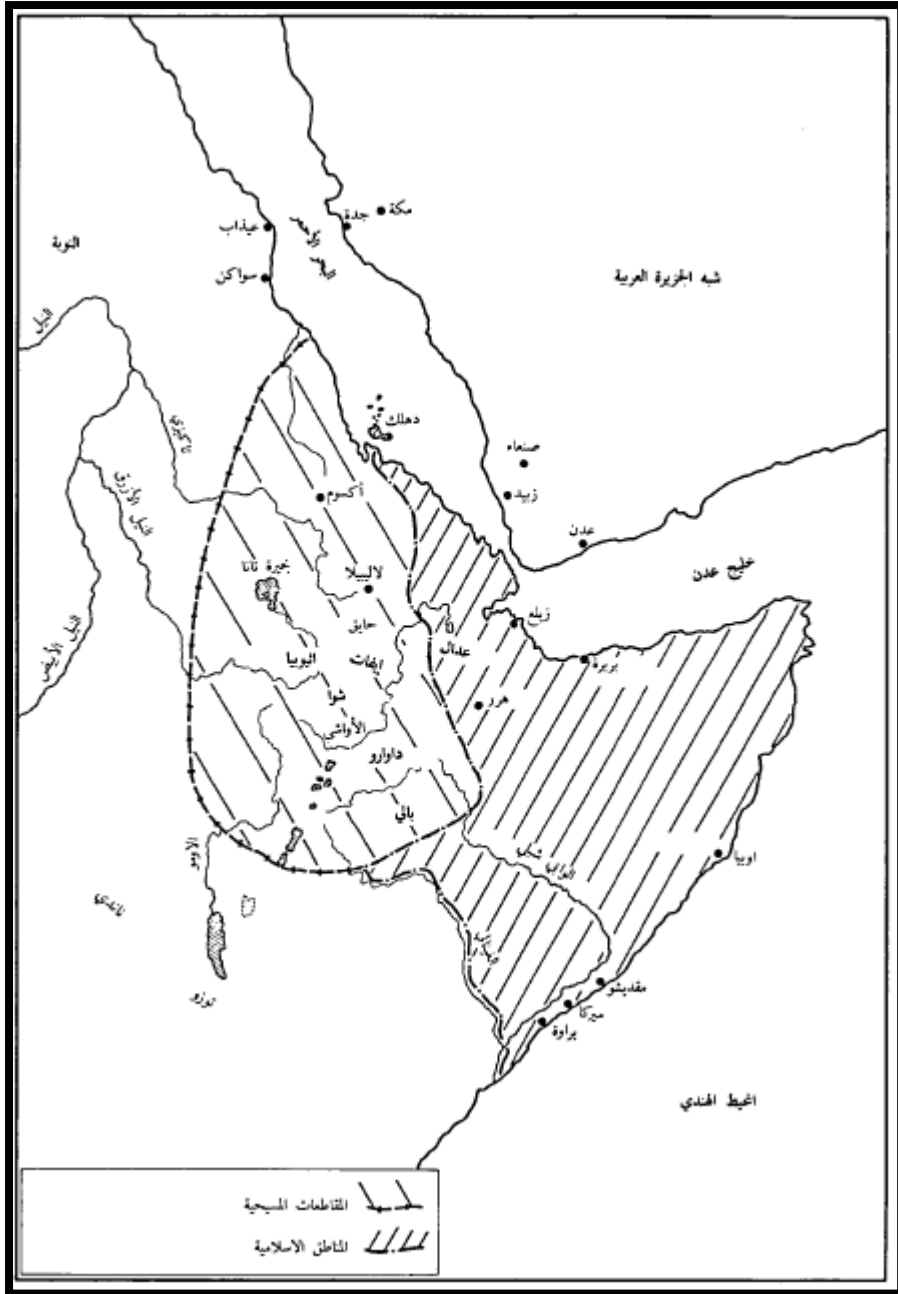
¹ د/شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1984م، ص 75 .

ملحق رقم 5 : خريطة شرق إفريقيا الإسلامي¹ .



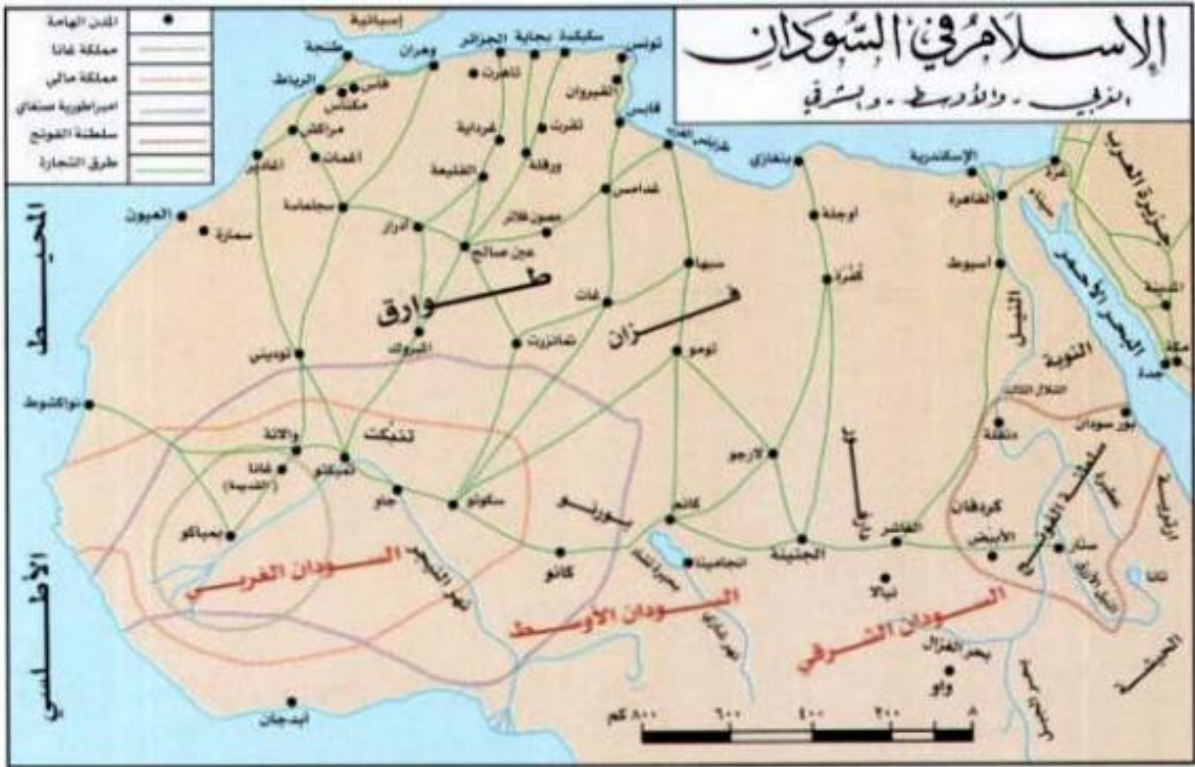
¹ د/ حسين مؤنس، مرجع سابق، ص 370 .

ملحق رقم 6 : خريطة إثيوبيا و الشرق الإفريقي¹ .



¹ ت . تامرات، القرن الإفريقي السليمانيون في إثيوبيا و دول القرن الإفريقي "تاريخ إفريقيا العام"، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج4، ص 424 .

ملحق رقم 7 : خريطة الإسلام في السودان¹ .



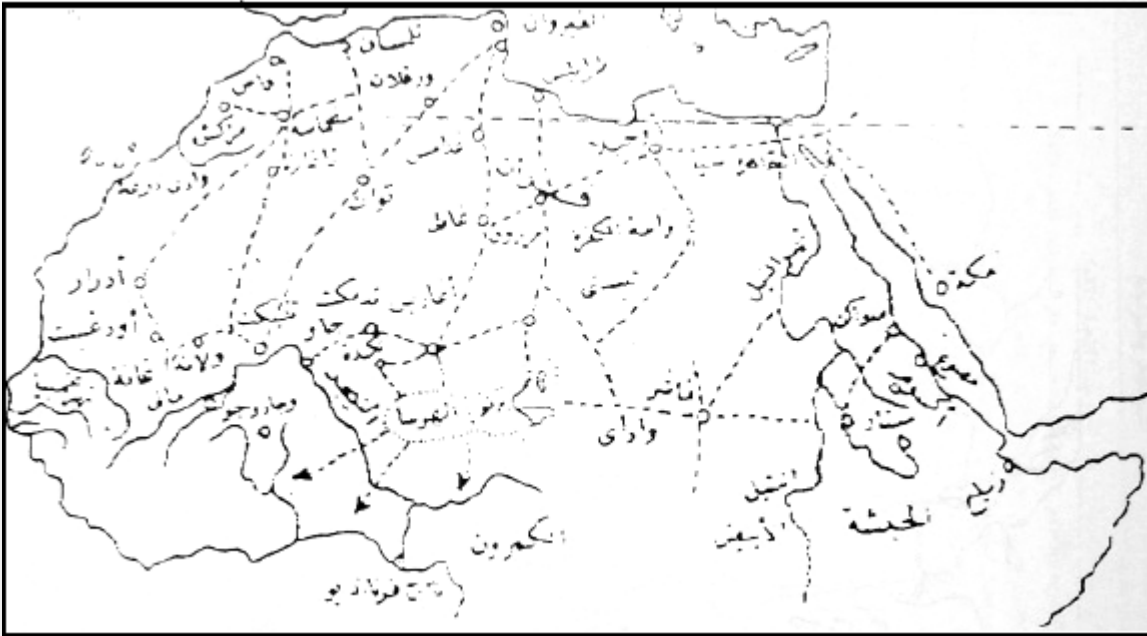
¹ د/شوقي أبو خليل، مرجع سابق، ص 74 .

ملحق رقم 8 : حركة انتشار الإسلام في السودان الأوسط و الغربي من القرن 7م إلى القرن 19م¹.



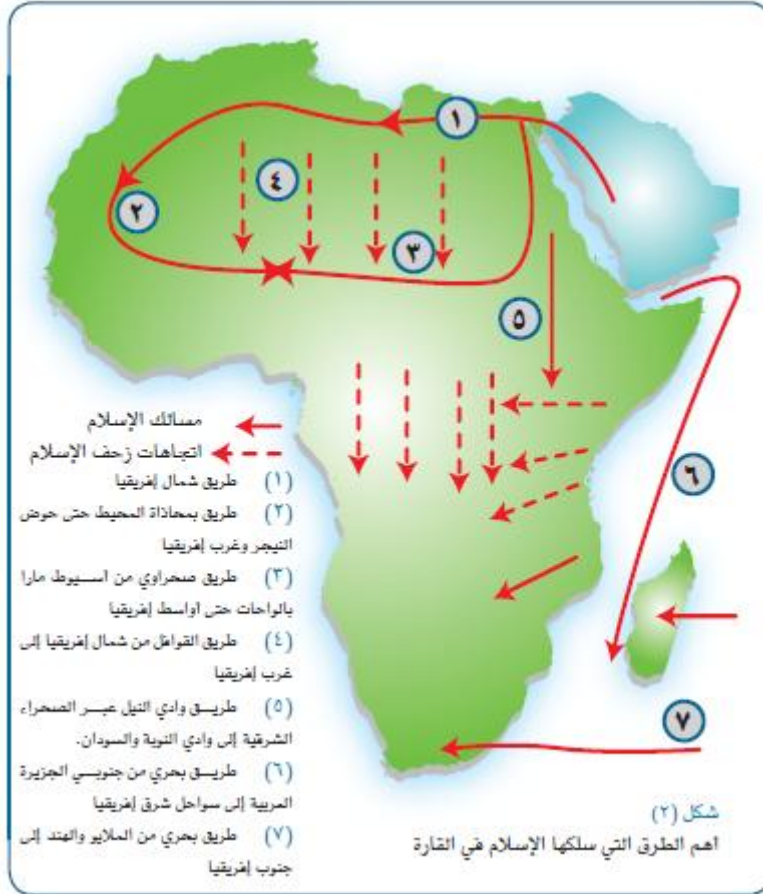
¹ عبد الرحمان عمر الماحي، مرجع سابق، ص 78 .

ملحق رقم 9 : طرق القوافل بين بلاد السودان و شمال إفريقيا¹ .



¹ عبد الرحمان عمر الماحي، مرجع سابق، ص 79 .

ملحق رقم 10 : خريطة أهم الطرق التي سلكها الإسلام في إفريقيا¹ .



¹ د/حورية توفيق مجاهد، مرجع سابق، ص 18 .

قائمة المصادر و المراجع

1 - المصادر :

- البكري أبو عبيد (ت 487هـ / 1093م) .
- المغرب في ذكر بلاد المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ الطبع .
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت 960هـ / 1554م) .
- وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م .
- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت 900 هـ / 1495 م) .
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984 م .
- ابن حوقل أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (367هـ / 977م) .
- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م .
- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ / 1406م) .
- ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الفكر، بيروت، 2000م .
- عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (ت 1056هـ / 1655م) .
- تاريخ السودان ، نشر هوداس، باريس، 1981م .
- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله (ت 257هـ / 871م) .
- فتوح إفريقية و الأندلس ، حققه و قدّم له : أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964م .
- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م) .
- صبح الأعشى، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م .
- محمود كعت (ت 1001هـ / 1593م) .
- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس و ذكر وقائع التكرور و عظام الأمور و تفريق أنساب العبيد من الأحرار ، دراسة و تعليق : د/ ادم مباء، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2014م .

- المقريري تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م) .
- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء و الملوك ، تحقيق و تعليق : د/ جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م .
- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت 1315هـ / 1897م) .
- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م .
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرّومي البغدادي (ت 626هـ / 1228م) .
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م .

2 - المراجع :

- أبو خليل (شوقي) .
- أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1984م .
- أحمد (يوسف) .
- الإسلام في الحبشة، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، القاهرة، 2012م .
- باري (عثمان برايم) .
- جذور الحضارة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة .
- بانينكار (ك.مادهو) .
- الوثنية و الإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا ، ترجمة و تعليق : أحمد فؤاد بليغ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1998م .
- بولم (دنيس) .
- الحضارات الإفريقية، ترجمة : علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974م .
- حسن (يوسف فضل) .
- مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي (1450-1821م)، سوادتك المحدودة، الخرطوم، الطبعة الرابعة، 2003م .
- جوزيف (جوان) .

- الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء ، ترجمة : مختار السويقي، دار الكتاب المصري و دار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، الطبعة الأولى، 1984م .
- الدالي (الهادي المبروك) .
- التاريخ السياسي و الإقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء (من نهاية القرن 15م إلى بداية القرن 18م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م .
- روسي (إتوري) .
- ليبيا منذ الفتح الغربي حتى سنة 1911م، ترجمة و تقديم : خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1991م .
- روكز (يوسف) .
- إفريقيا السوداء سياسة و حضارة ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م .
- زبادية (عبد القادر) .
- دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .
- سعد (مصطفى محمد) .
- الإسلام و النوبة في العصور الوسطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م .
- شاكر (محمود) .
- السودان، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1981م .
- الشكري (أحمد) .
- الإسلام و المجتمع السوداني "إمبراطورية مالي"، الجمع الثقافي، أبوظبي، 1999م .
- غوتبيه (أ.ف) .
- ماضي شمال إفريقيا، ترجمة : هاشم الحسني، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا ، دون تاريخ الطبع .
- فيج (جي . دي) .
- تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة : د/ السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م .

- الفيتوري (عطية مخزوم) .
- دراسات في تاريخ شرق إفريقيا و جنوب الصحراء (مرحلة إنتشار الإسلام)، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1998م .
- كريدية (سعيد إبراهيم) و باري (محمد فاضل علي) .
- المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2007م .
- مؤنس (حسين) .
- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1987م .
- الملاح (بشار أكرم جميل)
- تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، عمّان، الطبعة الأولى، 2014م
- يحي (جلال) .
- تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م .
- يحي عبد الرضي (سحر) .
- تأسيس مملكة الفونج الإسلامية، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس، إشراف : د/أمل سليمان بادي، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، الخرطوم، 2012م .

3 - الموسوعات :

- موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الطبعة الأولى، 1998م .
- الموسوعة الإفريقية، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1997م .

4 - المقالات :

- بن شقرون (مصطفى) .
- دور التجار المسلمين في نشر الإسلام بغرب إفريقيا في العصر الوسيط ، أعمال ندوة التواصل الثقافي و الإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء (15-17 محرم 1428هـ/12-14 ماي 1998م)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، 1999م .
- بيلسكي (س.ياكو) .

النوبة المسيحية في أوج ازدهارها " تاريخ إفريقيا العام "، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج 2 .

- تامرات (ت)

القرن الإفريقي السليمانيون في إثيوبيا و دول القرن الإفريقي "تاريخ إفريقيا العام"، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج 4 .

- توفيق مجاهد (حورية) .

تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد و الوسائل ، مجلة قراءات إفريقية، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد 6، شوال 1431هـ/سبتمبر 2010م .

- سيسوكو (سينيكي مودي) .

الصنغي من القرن 12م إلى القرن 16م " تاريخ إفريقيا العام "، اللجنة الدولية العلمية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج 4 .

- شعبان (ماهر عطية) .

جامعة سنكري (في تمبكتو) و دورها الحضاري و الثقافي في القرن 16م (1492-1590م)، مجلة الدراسات الإفريقية، إصدار معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، عدد 24، 2002م .

- شويفة (فاروق) .

الأقزام الإفريقيون، مجلة الدراسات الإفريقية، إصدار معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ع5، 1976 .

- كامل (مراد) .

الحبشة بين القديم و الحديث ، محاضرة أقيمت بدار الجمعية الجغرافية المصرية، 4مارس 1959م، دون تاريخ و مكان الطبع .

- لايها (د) .

دول الهوسا "تاريخ إفريقيا العام"، اللجنة الدولية العلمية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونيسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج 5 .

- الماحي (عبد الرحمان عمر) .

مساهمة القوافل التجارية في نشر اللغة العربية و الحضارة الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي، أعمال ندوة التواصل الثقافي و الإجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي

الصحراء (15-17 محرم 1428هـ/12-14 ماي 1998م)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،
طرابلس، الطبعة الأولى، 1999م .

- ميخالوفسكي (ك) .

انتشار المسيحية في النوبة (تاريخ إفريقيا العام)، اللجنة الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام
(اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988م، ج 2 .